نصوص من كلام الصاحب ابن عباد

اكثر آثار الصاحب فقدت ، وقليل منها لا يزال مخطوطاً كديوان شعره والمختار من ديوان رسائله ، وما طبع من نثره وشعره مفرق في كتب الادب والتراجم على سبيل الاستشهاد والاختيار لا يجمعه كتاب خاص ، والاطلاع عليه يقتضي تصفح كثير من الكتب ويستغرق زمناً طويلاً . لذلك فقد جمعت في هذا الفصل كل ما اتيح لي العثور عليه مما يجوز نشره من نثره وشعره المبثوث في كتب الادب . أما المختار من ديوان رسائله فقد انتقيت طائفة منه وارجو ان اوفق الى طبعه على حدة .

رسول الله

خيرة الله من خلقه ، والهادي الى حقه ، والمنبه الى حكمه ، والداعي الى رشده ، والمؤيد من عنده ، والمحتج به على جنه وانسه . مختار من اكرم المنابت ، منتخب من اشرف العناصر ، مرتضى من أعلى المحاند ، موثر من أعظم العشائر ، معتام من افخم القبائل ، معضود بالمعجزات الغر ، مرفود بالدلالات الزهر ، لا تخبو

ناره ، ولا يوضع مناره ، ولا يتحيف سناه وسناؤه ، هدي به الخلق من ضلالة سوداء دهماء ، وعلموا به من جهالة بداء جهلاء ، مبارك مولده ، سعيد مورده ، قاطعة حجته ، سامية درجته ، ساطع صباحه ، متوقد مصباحه ، مظفرة حروبه ، ميسرة خطوبه ، نسخت بملته الملل ، وبشرعته الشرع ، وبنحلته النحل ، وبكلمته الكلم ، وبامته الامم ، وبسنته السنن ، وصار العاقب والخاتم ، والقاطع والجازم ، قد أفرد بالزعامة وحده ، وختم بالأنبي بعده ، فاستوفت دعوته شرق الارض وغربها ، ومسحت بر الدنيا وبحرها ، واذعنت له سود الرجال وحمرها ، وذلت لعزته صيد الملوك وكبرها ، وصار المخالفون سراً ، يضطرون الى اعتزاء اليه جهراً ، يفصح بشعاره على المنابر ، وبالصلاة عليه في المحاضر ، وتعمر بذكره صدور المساجد والمنابر ، ويستوي في التطأمن لامره حالتا الغائب والحاضر ، والوارد والصادر ، لم يكتب كاتب الا ابتدأ مصلياً عليه ، ولم يختم الا برد السلام والتحية اليه ، كأنهم مسخرون غير موثرين ، ومجبورون غير متخيرين ، لطفاً من الله جمعهم على فضيلته ، والفهم على جدبلته ، ذلك سيد الاولين والآخرين ، رسول الله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اجمعين .

علي بن ابي طالب

اسلامه سابق، ومحله سامق، ومجده باسق، وذكره نجم طارق، وسيفه قدر وبارق، وعلمه بحر دافق، وامامته لواء خافق. ونظير هرون عند المشاكلة، وباب المدينة عند المشابهة، بدر يوم بدر بل شمسه، واخو المصطفى بل نفسه، مصلي القبلتين، والهاشمي من الهاشميين، كفؤ أشرف النسم، وأكرم الكرائم في الامم، نسله أعز نسل، وأصله أفضل أصل، به تحل المشكلات، واليه ترجع المعضلات، ولداه الشمس والقمر، ولولا علي لهلك عمر، سيفه ام الآجال، ورحمة يتم الاطفال، وحملته رفع السدود، وصولته كسر البنود، قوى الله به ازر المسلمين، وافشى القتل في المشركين، قسيم الجنان، وباب الرحمة والرضوان، ثاني اصحاب الكساء في اذهاب الرجس، وحامل لواء الحمد عن يمين العرش، وصاحب الحوض يسقي من شايع وبايع، ويمنع من ناصب ونازع، ذاك أمير المؤمنين صلوات الله تختص أوصافه عن المشاركة، وتخلص نعوته عن المزاحمة.

وكتب الى بعض الاشراف معاتباً وملاطفاً:

وصل كتابك ايها الشريف اطال الله بقاءك ولكن بعد

ماذا؟ بعد ان كددتك بالعتب الوجيع ، وقرعتك بعصا التقريع ، وكأن الأكف قد عصرته بعد كد من ماء وجه البخيل وما كذا كان الظن بك وخلقك الخلق الرحب ، وانت الحلال الحلو والبارد العذب ، وقد ينسى المرء ابعد خليليه داراً وحلة ، وان كان اصدقهم عهداً وخلة ، غير اني لم احسبك ترضى بالرتبة الدنيا في كرم العهد ، وترعى روضة الهوينا في صحة العقد ، فملأت يدي ثقة ورجاء ، حتى أعدتها عليّ صفراً خلاء ، وبعد ذاك فليت شوقي اليك ، على قدر حظي منك ، كلا بل انت خدين فكري وسميره ، وامين قلبي واميره ، تصرفه كيف احببت ، وتنقله كيف طلبت ، وتسلمه لتناوب البر والجفاء ، وتتلاعب به كتلاعب الافعال بالاسماء ، فاذا استنزلتك عن كتاب تصدره انفقت بالمعروف وجدت بالنذر المتفوه حتى كأن بياض قرطاسك من شيبة الحمد ، وسواد انقاسك من سواد الناظر والقلب ، فلا تفعل جعلت فداك فبغير هذا نزلت السور ، وتليت النذر ، وتكررت العبر ، وتربعت ربيعة وتمضرت مضر ، وآخر دعواي ان كيف شئت فكن ، وقل اذا عزاخوك فهن ، سقى الله عهدك غيثاً كغزارة فضلك ، وسلاسة طبعك ، وصفاء ودك ، ولا عاشت المحاسن من بعدك .

وكتب جواباً على عتاب :

التجرم يا سيدي وخليلي دأب من ضاق عطنه عن الاخلاق السمحة ، وتضاءل وده عن الطباع العذبة ، فهو دائباً يخلق لاخوانه جريرة يصليهم نار عتبها ، ويوليهم جانب عذلها ، والحر كل الحر من لحظ احوالهم بعين تجمع الى النصفة التسمح ، والى المعدلة الترخص ، وان شاهد جميلاً كثر قليله ، وان صادف تقصيراً حسن قبيحه ، وقد نزهك الله عن ان تكون معنّاً وعريضاً تنتهز الفرصة . فما هذا التعدي الذي علقت اوثق اسبابه ، والتجني الذي ولجت اضيق ابوابه؟ وقد علم الناس كيف ايثاري اياك واكباري ، وعلمت كيف ابأسطك في خاص احوالي واسراري ، حتى كأنا قضينا الشباب على تلاوم ، وصافحنا الكهولة عن تنادم ، ومتى كان الاعراض الذي اشرت اليه ، والانقباض الذي نصصت عليه ، ومن هذا الواشي الذي يطمع في احالة حالك ولو قد من الدهر على رصد ، ونفث من السحر في العقد ، فكيف حسبتني ممن تستفزه السعاة ، وتهزه الوشاة ؟ انك تستخف حلما لمل الاطواد الصم تشهد له بالرزانة ، والجبال الشم تبرأ اليه من الرصانة ،

ولكل ذي قلم جانب من البلاغة هو فيه اوسع عناناً ، وارحب جناناً ، وكنت في العتب افسح مجالاً ، واملأ سجالا ، وقد اردت ان اعاتبك عن عتبك فاطيل ، وابدي القول واعيد ، واذكر ما في هذا الباب من المذام (التي) تضاد محاسنك ، وتحادّ مناقبك . ثم كففت وصدفت ، واقتصرت وخففت ، نعم وزعمت انك قد كثرتَ عليّ فسئمتُ ، واطلتَ فتبرمتُ ، ولو شئت لقلت انك اردت تهجيني فبدأت بنفسك ، وتبجيلي فتحاملت على فعلك ، اذ قد علم الناس خلاف ما حكيت ، ودروا اني بمنآة مما ادعيت ، اوجب لمن ضمه اليّ السبب الضعيف ما يوجب للاخ المشابك في الارومة ، والمشارك في الخوّولة والعمومة ، واني لا الومك على الانقباض لوما يريبني فعلك لوماً ، وبودي لو كلفت مع كل صباح نفس حاجات تعادّ الرمل ، وتناسب القطر ، فهذا هذا والقصتان قد وقّع فيهما بما رأيت . وان سألت في الالتماس بأمرّ من العلقم ، واضرّ من الارقم . وكل ذلك تأتي به مقبول ، وعلى جانب الانس محمول ، لا عدمتك .

وكتب يصلح بين الاشراف العلوية بقزوين :

كتابي اطال الله بقاء الشريفين سيديّ وكبيريّ عن سلامة مولانا الامير المؤيد الدولة وانتظام امور سلطانه ، وعافيتي بدولته وعلو شانه ، والحمد لله رب العالمين وصلاته على خيرته، محمد وعترته . وقد علم الشريفان ان الصلاح تجتمع اطرافه، وتحرس اكنافه ، باطّراح الضغائن ، وتسوية الظواهر والبواطن، والاخذ بالخلق السمح ، وترك المشاحّة والشح . وان المعارّة تورث التباعد، وتزيل التعاون والترافد ، والاشراف العلوية بقزوين بينهم وبين سائر الطوائف شحناء لا تكاد تسقط جمراتها، ولا تنجلي غمراتها، وقد كتبت في ذلك كتابا ارجوه يجمع على الالفة، ويحرس من الفرقة، وينظم على ترك المنازعة، والجنوح الى الموادعة ، فان المهادنة تجمل بين الملتين ، فكيف بين النحلتين، والله نسأل توفيقاً لانفسنا ولهم . واذا عرفت لما يجري من ذلك تأويلا وان كان ضعيفاً فليت شعري لم بين آل ابي طالب ايدهم الله تمادٍ وتباغض ، وتناءٍ وتوافض، وشر قد تعدى الى اراقة الدم ، وقطع العصم ، ونسيان الذمم ، وبيت الرسالة يجمعهم ، وظل النبوة يكنفهم ، ورحم الوصية تؤلفهم ، وهل ذلك الا من حبائل الشيطان ومكائده ، ونزغاته ومراصده ، وقد اعتمدت

الشريفين لامرين عظيمين ، اولهما واولاهما ، ازالة هذا التنازع والتقاطع ، بين بني العم حتى يكونوا متوازرين متعادلين ، اخوانا متقابلين ، وان احتاج بعض الى احتمال ضيم لبعض ، والتزام هضيمة وغض ، فالدين يقتضي ذلك اقتضاء لارخصة في تركه ، ولا تأويل في حله ، ولا عذر في هجره ، وانا اتوقع ما يكون من هؤلاء الاشراف ايدهم الله في الاستجابة لما رسمت ، والتزام ما الزمت ، ومن الشريفين ايدهما الله في اصلاح ذات البين ، والصبر على ايقاع الانفاق ، ورفع الافتراق ، واستعادة الائتلاف ، واماطة الاختلاف . ان شاء الله تعالى .

و كتب يعزي اباً عن ولده :

هو لدهر يا شيخي و كبيري فلا تعجب من طوارقه ، ولا تنكر هجوم بوائقه ، عطاؤه في ضمان الارتجاع ، وحباؤه في قران الانتزاع ، بينا يمنح المرء حتى يسلب ، و بينما يعطي حتى يحرب ، واللبيب يستشعر الفجيعة ، حين يؤتى الوديعة ، و يتمثل الفقدان ، ساعة يصافح الوجدان ، علماً بأن الله تعالى جعل الدار دار امتحان لا دار مقام . و بلغني من مضيّ الفتى قدّس الله روحه ، وبرّد ضريحه ، على حين املته لاحوال ،

ورجوته لكفاية واستقلال ، ما اجرى الدمع ، وأعظم الفجع ، ولم ادر أتصور حاله وقد اختضر شبابه ، وتقطعت اسبابه ، ولم تغن عنه طراوته في العيون ، وحلاوته وعزه على العشيرة ، وكثرة الحامين له دون العظيمة ، فلا يملك عن روحه دفعاً ، ولا يستطيع للحتم ردا بنفسه ولا بذويه ؟ ام حالك وقد اخذ عن عينك قرتها ، وعن نفسك ثمرتها ، وعن دنياك حسنتها ، وعن مناك غايتهـا ؛ فلا القلق ينفع ، ولا الحيلة تدفع ، ولا الفدية تقبل ، ولا البلية تمهل ؟ وكل ذلك يزيد المؤمنين ايمانًا ، والموقنين ايقانًا ، فيعلم أن الامر كله لمن يغلب ولا يغلب ، وكيف ما شاء يفعل ويقلب ، الا ان الارضى خليقةً ، والاهدى طريقة ، من علم أن اللطيف الرؤوف لا يعطي الا إذا كان العطاء اربح ، ولا يأخذ الا اذا كان الأخذ اصلح . وابنك وان كان طهراً ، فقد عاد اجراً ، وان كان نخراً ، فقد رجع ذخراً ؛ فأحسن العزاء واجمل الرجعى ، فما عند الله خير وابقى . واعلم ان الناس قبلك جمعوا فجزعوا ، ودهوا فدلهوا ، ثم لم يرد التسلب من مات ، ولم يرجع التهالك كل من فات ، فعادوا الى التسليم ، وفوضوا الى

القادر الحكيم . وان المرء ليقدم السلوة فيجبر مصابه ، كما يؤخرها فيحبط ثوابه . اخذ الله بك الى ما هو أولى بسنك ودينك ، وحسن عقيدتك و يقينك . أحب ان تعرفني خبرك في التفويض الى الله ، وحسن الرضا بقدر الله ، فان الرزء ما كان أفظع ، كان العوض أوسع ، وانت وان احتجت الى الاولاد ، فاجتك العظمى الى حسن المعاد ، والله أسأل لك ولنفسي التوفيق والتسديد ، انه فعال لما يريد .

وله في باب التعازي :

ورد كتاب مولاي يذكر مضي فلان فوجدت نفسي كالمصاب بنجيب من أبنائه ، أو عزيز من أعضائه ، وورد على قلبي ما غشاه كرباً يتعذر دواؤه ، و يتعسر جلاؤه ، فما أدري بعد هذا ما أكتب وما أقول ، وكيف يذم هذا الزمان الخؤون ولكني أنشد :

ما أعلم الدهر بمن أحب

وأردد :

هذا الزمان يسوءني جمعاً بكل خليل
فكأنه يمضي الى ما ساءني بدليل

والله أسأل ان يطهرنا للقائه ، فكل لابد وارد هذا الحوض وان مد في اجله ، وأخر في مهله ، ونعوذ بالله من طول الآمال ، وقصر الآجال ، وشرور النفوس وسيئات الأعمال ، ورحم الله فلانا فلقد كان قليل النظير في اشكاله ، بل عديم المثيل في امثاله ، وسأكتب الى فلان معزياً وان لم أجده أولى مني بالفجيعة ، فاخاء المودة الخاصة ، فوق الرحم الماسة .

وله يعاتب كاتباً تراجع في صناعته :

كنت ابتدأتك بالمخاطبة ، وحضضتك في آلات الكتابة على المداومة والمواظبة ، فأجد خطك يزداد على الأيام ويستجاد ، ثم أهملت التعهد ، واستعملت التجوز ، وصار ما تكتبه مضطرب الحروف ، متضاعف الضعف والتحريف ، وجعلت أتأول لك يوماً بقلم لم يستجب بريه ، ويوماً بمداد لم يساعد جريه ، الى أن صار رداءة الخط سنة لك وسنناً ، ورسماً ثابتاً مرتهناً ، فقدمت هذا الخطاب مذكراً ، ورجوت ألا تحوج الى مثله منكرا ، وإياك وإياك اضطراري فثابر على المشق والتسويد ، واهتم بالتصحيح والتجويد ، واعمل

على ان تقوم حرفاً حرفاً من خطك ، وتصوره في نفسك قبل تصويره بيدك ، وليكن لك من يوقفك على مواضع التقصير والتضجيع ، لأتبين الزيادة فيما يرد منك وقتاً وقتاً ، قبل ان اوسعك تهجيناً ومقتاً والسلام .[1]

فصل من كتاب له الى ابن العميد صدر جواباً عن كتابه اليه في وصف البحر :

وصل كتاب الاستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، وعاين من مراكبه ، ورآه من طاعة الآته للرياح كيف ارادتها ، واستجابة ادواتها لها متى نادتها ، وركوب الناس اشباحها ، والخوف بمرأى ومسمع ، والمنون بمرقب ومطلع ، والدهر بين اخذ وترك ، والارواح بين نجاة وهلك . اذا فكروا في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، واذا لاحت لهم غرر المطالب الكثيرة حبب اليهم الغرر .

وعرفت ماقاله من تمنيه كوني عند ذلك بحضرته ، وحصولي على مساعدته ، ومن رأى بحر الاستاذ كيف يذخر بالفضل ، وتتلاطم فيه امواج الادب العلم ، لم يعتب على الدهر فيما يفيته

---

(١) آخر ما انتقيته من المختار من ديوان رسائل الصاحب المخطوط .

من منظر البحر ، ولا فضيلة له عندي اعظم من اكبار الاستاذ لاحواله ، واستعظامه لاهواله ، كما لا شيء ابلغ في مفاخره ، وانفس في جواهره ، من وصف الاستاذ له فاني قرأت منه الماء السلسال لا الزلزال ، والسحر الحرام لا الحلال ، وقد علم انه كتب ولما يخطر يفكره ، سعة صدره ، فلو فعل لرأى البحر وشلا لا يفضل عن التبرض ، وثمداً لا يكثر عن الترشف .

وكم من جبال جبت تشهد انك الا جبال وبحر شاهد انك البحر

وكتب تهنئة بزواج ام وتعزية بموت اب :

الايام — اطال الله بقائك — تجري على انحاء مختلفة ، وشعب متفرقة ، واحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسر ، وينفع ويضر ، وبلغني من نفوذ قضاء الله في شيخك رحمه الله ما ازعجني ، وابهم طرق السلوة دوني ، وان كان من خلفك غير خارج عن مزية الاحياء ، ولا حاصل في زمرة الاموات ، والله يأسو كلمك ، ويسد ثلمك ، وقد فعل ذلك بان اتاح الله لك بعد ابيك اباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنوا ، وايثارا لك وبرا ، وقد لعمري وفقت حين وصلت بجبلك حبله ، واسكنت الكبيرة حرسها الله تعالى ظله ، لئلا تفقد من الماضي عفا الله عنه الا

شخصه . فالحمد لله الذي ارشدك لما يعيد الشمل مجتمعاً بعد فراقه ، والعددموفوراً بعد انتقاصه ، حمداً يقضي لك بالمسرة ، ويحسم دونك مراد الوحشة ، و يلقيك ثواب ماقضيته من الحق ، وتحملته من الاوق [1] ، انه فعال لما يريد .

و كتب تهنئة ببنت :

اهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ، وام الابناء ، وجالبة الاصهار ، والاولاد الاطهار ، والمبشرة باخوة يتنافسون ، ونجباء يتلاحقون .

فلو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال
وماالتأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

فادّرع ياسيدي اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والارض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ؛ والسماء مؤنثة وقد تزينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة وهي قوام الابدان ، وملاك الحيوان ، والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ، فهنيئاً هنيئاً

(١) الثقل

ما اوليت ، واوزعك الله شكر ما اعطيت ، واطال الله بقاءك ، ما عرف النسل والولد ، وما بقي الأبد ، وكما عُمِّرَ لُبَد .

وكتب الى ابي علي الحسن بن احمد في شأن ابي عبدالله محمد بن حامد :

كتابي هذا وقد ارخى الليل سدوله ، وسحب الظلام ذيوله ، ونحن على الرحيل غداً ان شاء الله اذا مد الصباح غرره قبل ان يسبغ حجوله ، ولولا ذاك لاطلته كوقوف الحجيج على المشاعر ، ولم اقتصر منه على زاد المسافر ، فان المتحمل له وسيع الحقوق لديّ ، حقيق ان اتعب له خاطري ويديّ ، وهو ابو عبدالله الحامدي اعزه الله تعالى كان وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد ، ابي سعيد الشبيبي السعيد ، رفع الله منازله وقتل قاتله ، يكتب له فآنسنا بفضله ، وانسنا الخبر من عقله ، فلما فجع بتلك الصحبة ، وبما كان له فيها من القربة ، لم يرض غير بابي مشرعاً ، وغير جنابي مرتعاً ، وقطع اليّ الطريق الشاق موكداً حقاً لا يشق غباره ، ولا ينسى على الزمان ذماره ؛ وكنت على جناح النهضة

التي لم يستقر نواها ، ولم تبن حصباها ، ولم تلق عصاها ، فاحرج الحر ، المبتدا الامر ، القريب العهد بوطأة الدهر ، حامل عليه بالركب الوعر ، فرددته اليك ياسيدي لتسهل عليه حجابك ، وتمهد له جنابك ، وتترصد له عملا خفيف الثقل ، ندي الظل ، فاذا اتفق عرضته عليه ، ثم فوضته اليه ، وهو الى ان يتفق ذاك ضيفي وعليك قراه ، وعندك مربعه ومشتاه ، ويريد اشتغالاً بالعلم ليزيده في الاستقلال ، الى ان يأتيه ان شاء الله خبرنا في الاستقرار ، ثم له الخيار ، ان شاء اقام على ما وليته ، وان شاء لحق بنا ناشراً ما اوليته ، وقد وقعت له الى فلان بما يعينه على بعض الانتظار ، الى ان تختار له ايدك الله كل الاختيار ، فأوعز اليّ بتعجيله ، واكفني شغل القلب بهذا الحر الذي افردني بتأميله ، ان شاء الله تعالى .

وكتب الى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الري وافداً عليه :

تحدثت الركاب بسير اروى الى بلد حططت به خيامي
فكدت أطير من شوقي اليها بقادمة كقادمة الحمام

أحق ما قيل من امر القادم ، ام ظن كأماني الحالم ؟ لا والله بل

هو درك العيان ، وانه ونيل المنى سيان . فمرحباً ايها القاضي براحلتك ورحلك ، بل اهلا بك وبكافة اهلك ، ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من رياك ، فحث المطي تزل غلتي بسقياك ، وتزح علتي بلقياك ، ونص على يوم الوصول لنجعله عيداً مشرفاً ، ونتخذه موسماً ومعرفاً ، وردّ الغلام ، اسرع من رجع الكلام ، فقد امرته ان يطير على جناح نسر ، وان يترك الصبا في عقال واسر .

سقى الله دارات مررت بارضها فأدنك نحوي يا زياد بن عامر
اصائل قرب ارتجي ان انالها بلقياك قد زحزحن حر الهواجر

وكتب يذكر مصحفاً اهدي اليه :

البر ادام الله الشيخ انواع ، تطول به ابواع ، وتقصر عنه ابواع ، فان يكن فيها ما هو اكرم منصباً ، واشرف منسباً ، فتحفة الشيخ اذ اهدى مالا تشاكله النعم ، ولا تعادله القيم ، كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله ، وهداه وسبيله ، ومعجز رسول الله صلى الله وسلم ودليله ، طبع دون معارضته على الشفاه ، وختم على الخواطر والافواه ، فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بقي الملوان ، لائح سراجه ، واضح منهاجه ،

منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ، ويذل كل جبار عنيد ؛ وفضائل القرآن ، لا تحصى في الف قران . فاصف الخط الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الاقسام ، وزاد في نخوة الاقلام ، بل اصفه بترك الوصف فاخباره آثاره ، وعينه فراره ، وحقاً اقول اني لا احسب احداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع في استكتابها ما ابتدعت ، وان هذا المصحف لزائد على جميعها زيادة القرعة [1] على الغرة ، بل زيادة الحج على العمرة .

لقد اهديته علقاً نفيساً ومايهدي النفيس سوى النفيس

وكتب الى ابي سعيد الشبيبي :

قد رأى شيخ الدولتين كيف الكلف بسادتي من اهل ميكال ايدهم الله بين ود اضمره على البعد ، وايثار اظهره على تراخي المزار ، وتقريظ يمليه عليّ الملوان ، ومدح انطق فيه بلسان الزمان ، حتى ان ذكرهم اذا جرى على لساني ، اهتزت له نفسي ، وفضلهم اذا جرى على سمعي ، انفرج له صدري ، فتلك عصبة خير فضلها باهر ، وشرفها على شرف النماء زاهر ، وشجرة

(١) لعله الفرع .

طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء ، والله يتمم اعدادهـا ، ولا يعدمني ودادها ؛ واذا كان اكباري لهم هذا الاكبار ، فكل منتسب الى جنبهم اثير لدي ، كثير في يدي ؛ وطرأ عليّ فلان منتسباً الى جملتهم ، وحبذا الجملة ، ومعتزيا الى خدمتهم ، ونعمت الخدمة ، ففررناه عن طبع سمح ، ولفظ عذب ، وصلة نثر بنظم ، فان شاء قال انا الوليد ، وان شاء قال انا عبد الحميد ، ولم اعظم بمن خرّجته تلك النعمة ، ونتجته تلك السدة ، ان يأخـذ من كل حسنة بعروة ، ويقدح في كل نار بجذوة ، وآنسنا بالمقـام مدة ، اكدتها شوافع عدة ، الى ان تذكر معاهد رأى فيهـا الدهر طلقاً والزمان غلاماً ، والفضل رهناً والافضال لزاماً ، فحنّ حنين الركاب ، وركب عزيم الاياب .

وكتب في وصف كتاب :

. . . . ومن هو الذي لا يحبه وهو علم الفضل ، وواسطة الدهر ، وقرارة الادب والعلم ، ومجمع الدراية والفهم ، ام من يرغب عن مكاثرة بمن ينسب الربيع الى خلقه ، ويكتسب محاسنه من طبعه ، ويتوشح بانواره ، ويتوضح بآثار لسانه ويده ، وصل كتابه ، فارتحت لعنوانه ، قبل عيانه ، حتى اذا فضضت

ختامه اقبلت الفقر تتكاثر ، والدرر تتناثر ، والغرر تتراكم ، والنكت تتزاحم ، فاذا حكمت للفظة بالسبق اتت اختها تتنافر ، واقبلت لديها تتفاخر ، حتى استعفيت من الحكومة ، ونفضت يدي من غبار الخصومة ، واخذت اقول كلكن صوادر عن اصل واحد فتسالمن ، وارفادعن معدن رافدفتصالحن ، وقد وليت النظر بينهما من كل لنسج برودهما ، ووفى بنظم عقودهما ؛ على انني يا مولاي أنشأت هذه الاحرف وحولي اعمال واشغال لا يسلم معها فكر ، ولا يسلم بينهما طبع ، وتناولت قلما كالابن العاق ، بل العدو المشاق ، اذا اردته استقال ، واذا قومته مال ، واذا حثثته وقف ، واذا وقفته انحرف ، احدل[1] الشق ، متفاوت البري ، معدوم الجري ، محرف القط ، مشبج[2] الخط ؛ ثم رأيت العدول عنه ضربا من الانقياد لامره ، والانخراط في سلكه ، فجهدته على رغمه ، وكددته على صعره ، لاجرم ان جناية اللجاج بادية على صفحات الحروف لاتخفى ، وعادية المحك[3] لائحة على وجوه السطور تتجلى .

---

(١) الاحدل : المائل . (٢) المشبج : المعمى .

(٣) المحك : التمادي في اللجاج والغضب .

وكتب في معناه : والله يعلم اني أخبرت بورود كتابه واستفزني الفرح قبل رؤيته ، وهز عطفي المرح امام مشاهدته ، فما ادري اسمعت بورود كتاب ، أم ظفرت برجوع شباب ؟ ثم وصل بعدانتظار له شديد ، وتطلع الى وصوله طو بل عريض ، فتأملته فلم ادر ما تأملت أخطاً مسطوراً ، أم روضاً ممطوراً ، أم كلاماً منثوراً ، أم وشياً منشوراً ؟ ولم ادر ماأبصرت في اثنائه أأبيات شعر ، أم عقود در ؟ ولم ادر ماجملته أغيث حلّ بوادي ظمآن ، أم غوث سبق الى لهفان ؟ .

وكتب: وصل كتاب القاضي فاعظمت قدرالنعمة في مطلعه ، واجلات محل الموهبة بموقعه ، وفضضته عن السحر حلالاً ، والماء زلالاً ، وسرحت الطرف منه في رياض رقت حواشيها ، وحلل تأنق واشيها ، فلم اتجاوز فصلاً الا الى أخطر منه فضلاً ، ولم اتخط سطراً الا الى أحسن منه نظماً ونثراً .

وكتب أيضاً : وصل كتابك فجعلت وصوله عيداً أؤرخ به ايام بهجتي ، وافتتح به مواقيت غبطتي ، وعرفت من خبر سلامتك ماسألت الله الكريم ان يصله بالدوام ، ويرفعه على أيدي الايام .

وكتب أيضاً : وصل كتابه ايده الله يضحك عن أخلاقه الارجة ، ويتهلل عن عشرته العطرة ، ويخبر عن عافية الله لمن رأيت شمل الحرية به منتظماً ، وشعب المروءة له ملتئماً ، ويحمل من انواع بره ، ما اقصر عن ذكره ، ولا أطمع في شكره ؛ ويؤدي من لطيف اعتذاره في اثناء عتبه ، ما تزداد أسباب المودة تمهيداً به ، وفهمته ورغبت الى الله باخلص طوية ، وامحض نية .

وكتب الى حسام الدولة ابي العباس تاش الحاجب في القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني :

قد تقدم وصفي للقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز ادام الله تعالى عزه فيما سبق الى حضرة الامير الجليل صاحب الجيش ادام الله تعالى علوه من كتبي ما اعلم اني لم اوفه بعض الحق ، وان كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل ، وتكشف عن انه من افراد الدهر ، في كل قسم من اقسام الادب والعلم ، فأما موقعه مني فموقع تخطبه هذه المحاسن ، وتوجبه هذه المناقب ، وعادته معي ان لايفارقني مقيماوظاعناً ، ومسافراً وقاطناً ، واحتاج الآن ، الى مطالعة جرجان ، بعد ان شرطت عليه تصيير المقام

كالالمام ، فطالبني مكاتبتي بتعريف الامير مصدره ومورده فان عنّ له ما يحتاج الى عرضه وجد من شرف اسعافه ما هو المعتاد ليستعجل انكفاؤه اليّ بما يرسم ادام الله ايامه من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ، و يفسح السبيل ، من بدرقة ان احتاج اليها والى الاستظهار بها ومخاطبة لبعض من في الطرق يتصرف النجح فيها . فان رأى الامير ان يجعل من حظوظي الجسيمة عنه تعهد القاضي ابي الحسن بما يعجل رده ، فاني ما غاب كالمضل الناشد ، واذا عاد كالغانم الواجد ، فعل ان شاء الله تعالى .

ووجه الصاحب ابا الحسن الجوهري الى ابي العباس الضبي باصبهان وزوده بهذا الكتاب :

اوصافي لمولاي ادام الله تعالى عزه تودع الشوق اليه حبات القلوب ، كما تملأ له بالمحبة اوساط الصدور ، فلا تغادر ذا قدح فائز في الفضل ، وخصل سابق في خصال العلم ، الا ونار الحنين حشو ثيابه او يرحل اليه ، و ينيخ ركائب السير لديه ، لا جرم ان جل من يحضرني يطالبني بالاذن له في قصده ، و يهتبل غرة الزمان في الحظوة بقربه ، نعم وذوو

التحصيل اذا حظوا لدي بزلفة ، واحصفوا عروة خدمة ، اعتقدوا انهم ان لم يعتمدوا ظله ، ولم يعتلقوا حبله ، كانوا كمن حج ولم يعتمر ، ودخل ظفار ولم يحمّر ، الا ان جميعهم اذا دفعته اندفع ، واذا خدعته انخدع ، غير واحد ملط ، ملحف مشط ، يغريه الرد بالمراجعة ، ويغويه المنع للمعاودة ، ويقول بملء لسانه الى ان يسأم ، ويقتضي طول زمانه حتى يبرم ، وكم جررته على شوك المطل ، ونقلته من حزن الى سهل ، وصرفته على انجاز وعد بوعد ، ودفعته من استقبال شهر الى انسلاخ شهر ، ثم خوفته كلب الشتاء اجعل الربيع موعدا ، وحذرته وهج المصيف اعطيته للخريف موثقا ، وكم شغلته بعمالة بعد عمالة ، ووفادة بعد وفادة ، اريد في كل ان اصدفه عن وجهته ، واصده عن عزمته ، ليس لفرض اكثر من ان السؤال منه والدفاع مني تساجلا ، والالتماس منه والامتناع من جهتي تقابلا ، فلما خشيت صبابته باصبهان ان يردها بل بخدمة مولاي ان يعتقدها تجني على قلبه ، او يتحيف بمس من الجنون ثابت عقله ، القيت حبله على غاربه ، وبردت بالاذن جمرات جوانحه ، فان يقل مولاي من

ذا الذي هذا خطبه ، وهذه خطته ، اقل من فضله برهان حق ، وشعره لسان صدق ، ومن أطبق اهل جلدته ، على انه معجزة بلدته ، فلا بعد لجرجان بعيدا ولا قريبا او لاختها طبرستان قديما ولا حديثا مثله ، ومن اخذ برقاب النظم اخذه ، وملك رق القوافي ملكه ، ذاك على اقبال شبابه ، وريعان عمره ، وقبل ان تحدثه الآداب ، وقبل جري المذكيات غلاب ، ابو الحسن الجوهري ايده الله ونباؤه عند مولاي منذ حين ، وخصوصه بي كالصبح المبين ، الا ان لمشاهدة الحاضر ، ومعاينة الناظر ، مزية لا يستقصيها الخبر وان امتد نفسه ،وطال عنانه ومرسه ، وقد الف الى هذه الفضيلة التي فرع بنيها ، واوفى على ذوي التجربة والتقدمة فيها ، نفاذاً في آداب الخدمة ، ومعرفة بحق الندام والعشرة ، وقبولا يملأ به مجلس الحفلة انصاتا للمتبوع الا اذا وجب القول ، واعظاماً للمخدوم الا اذا خرج الامر ، وظرفاً يشحن مجلس الخلوة حديثاً يسكت به العنادب ويطاول البلابل . فان اتفق ان يفسح له في الفارسية نظماً ونثراً طفح اذيه ، وسال انيه ، فالسنة اهل مصره الا الافراد بروق اذا وطئوا اعقاب العجم ، وقيود اذا

تعاطوا لغات العرب، حتى ان الاديب منهم المقدم، والعليم المسوم، يتلعثم اذا حاضر بمنطقه، كأنه لم يدر من عدنان، ولم يسمع من قحطان. ومن فضول اخينا او فضله انه يدعي الكتابة، ويدارس البلاغة، ويمارس الانشاء، ويهدي فيه ما شاء، وكنت اخرجته الى ناصر الدولة ابي الحسن محمد بن ابراهيم فوفق التوفيق كله صيانة لنفسه، وامانة في ودائع لسانه ويده، واظهاراً لنسك لم اعهده في مسكه، حتى خرج وسلم على نقده، وان نقده لشديد لمثله، ومولاي يجريه بحضرته مجراه بحضرتي، فطعامه ومنامه، وقعوده وقيامه، اما بين يديّ، او باقرب المجالس لديّ، ولا يقولن هذا اديب وشاعر، او وافد وزائر، بل يحسبه قد تخفف بين يديه اعواماً واحقابا، وقضى في التصرف لديه صبى وشبابا، وهذا انما يحتاج الى وسيط وشفيع ما لم ينشر بزه، ولم يظهر طرزه، والا فسيكون بعد شفيع من سواه، ووسيط من عداه، فهناك بحمد الله درقه وحدقه، ووجنة مطرفة[1] وما اكثر ما يفاخرنا بمناظر جرجان وصحاريها، ودرفارفها وحواشيها، فليملأ مولاي عينه من منتزهات اصبهان فعسى طماحه ان يخف،

(١) لعله وجنة مطرقة او وجنة ومطرقة.

وجماحه ان يقل . وشريطة اخرى في بابه وهي انه ليس موضعاً لماله فسبيل ما يرزأه ان يكون ما اقام في حجره ، وان اذن له مولاي في العود داخلا في حظر ، فما اكثر ما يباري البرامكة تبرماً بجانب الجمع ، وتخرقاً في مذاهب البذل ، ونسبة للرباح الى الامساك والبخل ، فبينا تراه والثروة اقرب وصفيه ، حتى تلقاه والحاجة احد خصميه ، وكم وكم تداركت امره فما ازداد الخرق الا وسعاً لا يقبل رتقاً ، وتهاونا لا يسع تلافياً ، وما كنت مع ابرامه لافسح له في الخروج ، وامد له طول النهوض مع انسي الشديد بحضوره ، واستمتاع النفس بعقله وجنونه ، غير اني ازرته من ينظر بعيني ، ويسمع باذني ، ومن اذا ارتاح للامر فقد ارتحت ، واذا انشرح صدره فقد انشرحت . ونكتة اخرى وهي واسطة التاج ، وفاتحة الرتاج ، مولاي سمح بماله ، مقرب لماله ، بخيل بجاهه ضنين بكلامه . وابو الحسن لا يقبل العذر ، او يصدق النذر ، فيجعل جوده بلسانه ، ابلغ من جوده ببنانه ، وحقاً اخبر ان قصده الاكثر الارتفاع لاالانتفاع غير اني انبأت عن مره ، وعن سن بكره .

وكتب الى ابي سعيد الاسماعيلي يصف قصيدة لابنه ابي معمر الاسماعيلي :

وبعد فهل اتاك حديث الاعجاب منا وقد طلعت من ارضك فقرة الفقر ، وغرة الغرر ، وحديقة الزهر ، وخليفة المطر ، تلك حسنة انتشرت عن ضوئك ، وغمامة نشأت بنوئك ، ونار قدحت بزندك ، وصفيحة فضل طبعت على نقدك . وانها لقصيدة ولدنا ابي معمر عمره الله تعالى ما اختار ، وعمر به الرباع والديار ، خطت باقدام الاجادة ، وقطعت مسافة الاصابة ، وسعت الى كعبة القبول ، وحلت حرم الامن خير الحلول ، تلبي وقد تعرت من لباس التعمل ، وتجردت عن عطاف التبذل ، فلم تدع منسكاً من البر الا قضته ، ولا مشعراً من الفضل الا عمرته ، ولا معرفاً من العلم الا شهدته ، ولا محصباً من الفهم الا حضرته . واجتمعنا حولها وانا لاعداد جمة ، وفينا واحد يقال انه امة ، كأنا عديد الموسم يعظمون الشعائر ، ويعلقون الستائر ، ويحتضنون الملتزم ، ويلثمون المستلم . وهذا الكتاب يرد عليكم بالخير أسرع من اللمح البارق ، نعم ومن اللمع الخاطف ، واخف من سابق الحجيج وان كان المثل الاعلى لبيت الله

العتيق ، فاحمد الله اذ قرن فضل فتاك بفضلك ، وجعل فرعك كأصلك ، وانبت غصنك على شجرك ، واشتق هلالك من قمرك ، واراك من ظهرك ، من يحذو على نجرك ، ويصل فخره بفخرك ، ويشيد من بناء الدراية ما اسست ، ويسقي من شجر الرواية ما غرست .

وكتب الى ابي العباس الضبي في ذكر ابي سعيد الرستمي :

كان يعد في جمع أصدقائنا باصبهان رجل ليس بشديد الاعتدال في خلقه ، ولا يبارع الجمال في وجهه ، بل كان يروع بمحاسن شعره ، وسلامة وده . أما الشعر فقد غاض حتى غاظ ، وأما الود ففاض أو فاظ . فان تذكره مولاي بوصفه والاّ فليسأل عن خاله وعمه ، أما العمومة ففي آل رستم وثم الذروة والغارب ، ولؤي العجم وغالب ، وأما الخؤولة ففي آل جنيد ، كما قال شاعرهم في سعد وسعيد ، وقد سألت عن خبره وفد نجران ، والركب بجلي نعمان ، فلم يذكروا الا أنه مشغول بخطبة سبطه ابي القاسم ابن بحر رحمه الله تعالى لفتاة اعزه الله وليس في ذلك ما يوجب ان يطوينا طي الرداء ، ويلقى عهدنا القاء الحذاء ، وقد يعود الصلاح فساداً ، ويرجع النفاق كساداً .

فلعل تيما ان تلاقي خطة فتروم نصرا من بني العوام

قال الثعالبي سمعت ابا جعفر الطبري الطبيب المعروف بالبلادري يقول ان للصاحب رسالة في الطب لو علمها ابن قرة وابن زكريا لما زادا عليها فسألته ان يعيرنيها ان كانت عنده فذكر انها في جملة ماغاب عنه من كتبه فاستغربت واستبعدت ما حكاه من تطبب الصاحب ونسبته في نفسي الى التزيد والتكثر الى ان ظفرت في نسخة الرسائل المؤلفة المبوبة للصاحب برسالة قدرتها تلك التي ذكرها ابو جعفر ووجدتها تجمع الى ملاحة البلاغة ورشاقة العبارة حسن التصرف في لطائف الطب وخصائصه وتدل على التبحر في علمه وقوة المعرفة بدقائقه وهذه نسختها واكثر ظني انه قد كتبها الى ابي العباس الضبي:

قد عرفت ما شرحه مولاي من امره، وانبأ عنه من احوال جسمه، فدلتني جملته على بقايا في البدن يحتاج معها الى الصبر على التنقية، والرفق بالتصفية؛ فاما الذي يشكوه من ضعف معدته وقلة شهوته، فلامرين احدهما ان الجسم كما قلت آنفاً لم ينق فتنفتق الشهوة الصادقة، وترجع العادة

السابقة ، والآخر ان المعدة اذا دامت عليها المطفيات ، ولزت بها المبردات ، قلت الشهوة وضعف الهضم ، ومع ذلك فلابد مما يطفي ويغذي ، ثم يمكن من بعد ان يتدارك ضعف المعدة بما يقوي منها ، و يزيل العارض المكتسب عنها ، كما يقول الفاضل جالينوس : قدم علاج الاهم ثم عد واصلح ما افسدت . والاقراص في آخر الحميات خير ما نقيت به المعدة واصلحت به العروق وقوي به الطحال ليتمكن من جذب العكر ، لا سيما والذي وجده مولاي ليس الذنب فيه للحميات التي وجدها ، والبلدة التي وردها ، فلو صادف الهواء المتغير جسداً نقياً من الفضول لما اثر هذا التأثير ، ولا طوّل هذا التطويل ، وانما اغتر مولاي بايام السلامة ، فكان يتبسط في انواع الطعام ، ويسرف في تناول الشراب فامتلأ الجسم من تلك الكيموسات الرديئة وورد بلداً شديد التحليل ، مضطرب الاهوية ، فوجدت النفس عونا على حل ما انعقد ، ونقض ما اجتمع ، وسيتفضل الله بالسلامة فتطول صحبتها ، وتتصل مدتها ، لان الجسد يخلص خلاص الابريز اذا زال عنه الخبث وسبك ففارقه الدرن .

واما الرعشة التي يتألم مولاي منها ، ويضيق صدرابها ، فليست

والحمد لله محذورة العاقبة ، وانها لتزول باقبال العافية ، فالرعشة التي تتخوف هي التي تعرض من ضعف القوة الحيوانية كما تعرض للمشايخ وتؤذي لمشاركتها الدماغ كثيراً من العظام . فاما هذه التي تعتاد عقيب الحمى فهي على ما قال جالينوس من ان حدوثها يكون اذا شاركت العروق التي تحدث فيها علة العصب وتزول عنه بزوال الفضل . وعجب مولاي من تكرهه شم الفواكه ولا غرو اذا عرف السبب ، فان العفونة التي في العروق قد طبقت روائحها آلات الشم ، فما يصل اليها من الروائح الزكية يرد على النفس مغموراً بتلك الروائح الخبيثة فتكرهها ، ولا تقبلها وتأباها ولا تؤثرها ، ألا يرى مولاي ان الاشياء الحلوة في فم ذي الصفراء بطعم الاشياء المرة لاستيلاء المرارة ، المضادة للحلاوة على آلات الذوق والمضغ والادارة ، وهذا راجع الى مثل ماحكمنا به أولاً من ان هناك فضلاً لا يمكن الهجوم على تحليله لما يخشى من سقوط القوة وان كان مما لم يخرج لم يوثق بوفور الصحة . وانا احمد الله اذ ليست شهوة سيدي متزايدة ، فالشهوة الغالبة مع الاخلاط الفاسدة ، تغري صاحبها بالاكل الزائد ، وتعرض للمزاج الفاسد ، الا ان التغذي لا يجوز اهماله دفعة ،

والتبرم به ضربة ، فان البدن اذا احتاج اليه وجب للعليل ان يتناوله تناول الدواء الذي يصبر عليه ، وذلك ان في دقة الحمية ، وترك الرجوع اول فاول الى عادة الصحة اماتة للشهوة ، وخيانة للقوة . وجالينوس يشرط في العلاجات اجمع استحفاظ القوى لان الذي يفعله الضعف لا يتداركه أمر الا ان ذلك بلزاء ما قال الحكيم الاول بقراط في البدن السقيم انك متى مازدته غذاء زدته شراً ، وهو في نفسه يقول : ان الحمية التي في غاية الدقة ليست بمحمودة فالطرفان ، من الاسراف والاجحاف مذمومان ، والواسطة أسلم . اغنى الله مولاي عن الطب والاطباء ، بالسلامة والشفاء .

وكتب الى ابي العلاء الاسدي :

يقر بعيني ان يلم رسولها ... يبابي ويهدي بالعشي سلامها
ويذكرلي دون الرجال حديثها ... وينشر عندي نطقها وكلامها

ورد يا شيخي اطال بقاءك رسولك بكتاب سبق الافكار والظنون ، وحسدت عليه القلوب العيون ، وترك الواصفين بين قاصر ومقصر ، ومثل لياليا بين اللوى فحجر ، بكلام كالورق

النضير تأوه [1] منه الغصون ، وكالنور المنير افنانه فنون ، فصادفني حليفاً للشوق أو رهيناً ، وحنينا على الحنين وساء قرينا ، وكيف لا وقد الفنا القرب احوالا حولنا رياض الادب ترف ، ودوننا رواحل الفضل تزف ، نملك رقاب المنطق ، ونتنازع اطراف الكلام المنمق ، ونقطع الليالي تناشداً وتذاكراً ، وتحادثاً وتسامراً ، الى ان يخلع الظلام ثيابه ، ويجدر الصباح نقابه ، هذا دأبنا كان الى ان جاوزنا الشباب مراحل ، ووردنا من المشيب مناهل ، ثم حان الفراق فنحن حتى اليوم منه في جو كدر ، ونجم منكدر ، يقبضنا عن الموارد العذاب ، ويعرضنا على لوائح العذاب ، والله نسأل اعادة هاتيك الاحوال ، وتلك الايام الخضراء الظلال . وان كان الله قد زادنا بعدك مناجح ومنائح ، وايادي غوادي وروائح ، حتى فتحنا الفتوح ، وذللنا القروح ، ورتقنا الفتوق ، ونسخنا الفروق ، واثرنا الآثار ، ووطأنا الرقاب وطلبنا الثار ، واصطنعنا الصنائع ، وجعلنا ودائع النعم قطائع ، وعقدنا في أعناق الاحرار مناً ، أحسن من سبل الاحسان سنناً . انا قد تحملنا مشاقاً مالت على القوة للضعف ،

---

(١) كذا في معجم الادباء ولعل الصواب تنأود .

وتحاملت على الاشر بالوهن ، ودفعت الى معالجة خطوب تعجب الدهر من صبرنا عليها فخار ، وجبن الزمان عند شجاعتنا لها فخار . وها انا أحوج ما كنت الى ان ارفه ، ولا استكره ، وقد رميت بسهم الاربعين ، وارميت على شرف الخمسين ، مدفوع الاشغال والاثقال الى متاعب ومصاعب لومني بها ابن ثلاثين قويا ازره طرياً حرصه لقام عجزه وقعدت به نفسه واظنني كنت قديماً قلت:

وقائلة لم عرتك الهموم وامرك ممتثل في الامم
فقلت دعيني وما قد عرى فان الهموم بقدر الهمم

وما على الراحة آسف بل على الا اكون مشغولاً باخرى امهد لها واكدح ، وادأب لنفسي وانصح ، اللهم وفّق وقدّر ، وسهل ويسر ، انك على ما تشاء قدير .

وكتب اليه أيضاً :

ابا العلاء شيخي اين ذلك الميعاد ، واين تلك العهود سقتها العهاد ، واين لياليا بحزوى ، وتصابينا على اروى ، بل اين الصبا وما ملك ، واين الشباب واية سلك ؟ واذ قد غاب جميع ذلك مغيب الخيال الطارق ، والضيف المفارق ، فاين كتبك التي هي الذ من انتهاء النفس الى رجائها ، وابتداء العين في اغفائها .

وكتب في اهداء اترجه : ما زلت يا سيدي افكر في تحفة تجمع اوصاف معشوق وعاشق ، وتنظم نعوت مشوق وشائق ، حتى ظفرت باترجة كأن لونها لوني وقد منيت ببعدك ؛ وبليت بصدك ، وكأن عرفها مستعار من عرفك ، وظرفها مشتق من ظرفك ، فكأنها بعض من لا اسميه ، وانا افديه ، فانفذتها وقلت:

مولاي قد جاءتك اترجة من بعض اخلاقك مخلوقه
البسها صانعها حلة من سرق اصفر مسروقه

وكتب في اهداء اقلام : قد خدمت دواة مولاي باقلام تخفف بانامله ، وتحمل نفحات فواضله ، وتأنقت في بريها فاتت كمناقير الحمام ، واعتدال السهام ، خمسة منها مصرية مقومة ، عليها حلل مسهمة ، وعشرة منها بيض كاياديه ، وايام مؤملية ، والله يديم له مواد نعمته ، ويوفقني لشرائط خدمته .

وله من كتاب تعزية : وقلنا قد اخذ الزمان من اخذ ، وترك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد اسلم الشمس للطفل ، ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع الكسوف الى الخسوف ، فابى حكم الملوين ، وقد غبنك

اذ قاسمك الاخوين ، الا ان يعود فيلحق الباقي بالفائي ، والغابر بالماضي :

وعاد في طلب المتروك تاركه انا لنغفل والايام في الطلب
ما كان اقصر وقتاً كان بينهما كأنه الوقت بين الورد والقرب

اقول هذا كعادة المصدور في النفث ، وشكوى الحزن والبث ، والاّ فما يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت ساعياً على وجه الارض ، حتى ينقله الى بطن الترب :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه
تبخل ايدينا بارواحنا على زمان هن من كسبه
فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تربه

***

رقاع له في الاستزارة والوصف

١

هذا اليوم يا سيدي طاروني ، يعجبني نوؤه الفاختي ، واذ قد غابت شمس السماء عنا ، فلا بد ان تدنو شمس الارض منا ، فان نشطت للحضور ، شاركتنا في السرور ، والا فلا اكراه

ولا اجبار ، ولك متى شئت الاختيار .

٢

غداً يا سيدي ينحسر الصيام ، وتطيب المدام ، فلا بد من ان نقيم اسواق الانس نافقة ، وننشر اعلام السرور خافقة ، فبالفتوة فانها قسم للظراف ، يفرض حسن الاسعاف ، لما بادرتها ولو على جناح الرياح ان شاء الله تعالى .

٣

نحن يا سيدي في مجلس غني الأعنك ، شاكر الامنك ، قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت فيه خدود البنفسج ، وفاحت مجامر الاترج ، وفتقت فارات النارنج ، وانطقت السنة العيدان ، وقام خطباء الاوتار ، وهبت رياح الاقداح ، ونفقت سوق الانس ، وقام منادي الطرب ، وطلعت كواكب الندماء ، وامتدت سماء الند ، فبحياتي لما حضرت ، لنحصل بك في جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد .

٤

نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت ، ونوره در ،

ونارنجه ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، يحملها زبرجد ، والسنة العيدان تخاطب الظراف ، بهلم الى الاقداح ، لكنا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وشباب اخذت جدته ، فاحب ان تكون الينا اسرع من الماء في انحداره ، والقمر في مداره .

٥

مجلسنا يا سيدي مفتقر اليك ، معول في اغنائه عليك ، قد ابت راحه ان تصفو الآن تتناولها يمناك ، واقسم غناؤه لا طاب او تعيه اذناك ، فاما خدود نارنجه فقد احمرت خجلاً لابطائك ، وعيون نرجسه فقد حدقت تأميلاً للقائك ، فبحياتي عليك لما تعجلت ، لئلا يخبث من يومي ما طاب ، ويعود من همي ما طار .

٦

صرنا ايد الله مولانا في بستان كأنه من خلقه خلق ، ومن خلقه سرق ، فرأينا اشجاراً تتميل فتذكر بترنح الاحباب ، وقد تداولتهم ايدي الشراب ، وانهاراً كأنها من يد مولانا تسيل ، او من راحته تفيض ، وحضرنا فلان فعلا نجمنا ، وحمد امرنا ، وتسهل طريق الخير لنا ، فلما دبت الكؤوس فيهم دبيب البرء

في السقم ، والنار في الفحم ، رأى ان نجعل انسنا غداً عنده فقلت سمعاً ، ولم استجز لامره دفعاً ، والتمس ان اخلفه في تجشيم مولاي الى المجمع ليقرب علينا متناول البدر بمشاهدته ، ولمس الشمس بمطالعته ، فان راى ان يشفعني اسعفني ان شاء الله تعالى .

٧

انا على طرف بستان اذكرني ورده المتفتح بخلقك ، وجدوله السايح بطبعك ، وزهره الجني بقربك .

٨

علقت هذه الاحرف وانا على حافة حوض ذي ماء ازرق كصفاء ودي لك ، ورقة قولي في عتابك ، ولو رأيته لانسيت احواض مارب ، ومشارب ام غالب ، وقد قابلتني شقائق كالزنوج تجارحت فسالت دماؤها ، وضعفت فبقي ذماؤها ، وسامتني اشجار كأن الحور اعارتها اثوابها ، وكستها ابرادها ، وحضرتني نارنجات ككرات من سفن ذهبت ، او ثدي ابكار خلقت وقد تبرم بي الحاضرون لطول الكتاب فوقفت ، وكففت وصدفت ، عن كثير من مما له تشوقت .

٩

مضيت فشاهدت احسن منظر ، فالارض زمردة، والاشجار وشي ، والماء سيوف ، والطير قيان .

١٠

كتب الى بعض ندمائه في يوم ثلج: كتبت والدنيا كافورة والدر نثير ، والكؤوس تدور، والراح ياقوت احمر ، ونحن بين اطباق البرد في ما نستغيث منه الى حر الراح ، بسورة الاقداح، وهي خير من كل شعر ووبر .

* * *

فصول له ورقاع في الملاطفة والمداعبة

كتب في الاعتذار من هفوة الكأس : سيدي اعرف باحكام المروءة من ان يهدى اليها ، واجرص على عمارة سبل الفتوة من ان يحض عليها ، وقديماً حملت اوزار السكر ، على ظهور الخمر ، وطوي بساط الشراب ، على ما فيه من خطأ وصواب ، وكنت البارحة بعقب شكاة اضعفتني ، ونقلتني عن عادتي ، واستعفيت السقاة غير دفعة فابوا الا الحاحاً علي ، وانزاعاً الي ، وكرهت الامتناع خشية ان اوقع الكساد في سوق

الانس ، وتفاديا من ان يعقد عليّ خنصر الثقيل ، فلما بلغت الحد الذي يوجب الحد ، بدر مني ما يبدر ممن لا يصحبه لبه ، ولا يساعده عقله وقلبه ، ولا غرو فموالاة الارطال ، تدع الشيوخ كالاطفال ، فان رأى ان يقبل عذري ، فيما جناه سكري ، ويهب جرمي ، لمعرفته نيتي في صحوي . وان ابى الا معاقبتي جعلها قسمين بين المدام وبيني فعل ان شاء الله تعالى .

وكتب مداعباً : خبر سيدي عندي وان كتمه عني ، واستأثر به دوني ، وقد عرفت خبره البارحة في شربه وانسه ، وغناء الضيف الطارق وعرسه ، « وكان ما كان مما لست اذكره » ، وجرى ما جرى مما لست انشره ، واقول ان مولاي امتطى الاشهب فكيف وجد ظهره ، وركب الطيار فكيف شاهد جريه ، وهل سلم على حزونة الطريق ، وكيف تصرف افي سعة ام ضيق ، وهل افرد الحج ام تمتع بالعمرة ، وقال في الحملة بالكرة ؟ ليتفضل بتعريفي الخبر ثم ينفعه الانكار ، ولا يغني عنه الاّ الاقرار ، وارجو ان يساعدنا الشيخ ابو مرة ، كما ساعده مرة ، فنصلي للقبلة التي صلى اليها ، ونتمكن من الدرجة التي خطب عليها ، هذا وله فضل السبق الى ذلك الميدان ، الكثير الفرسان .

وكتب أيضاً : انفردت يا سيدي بتلك انفراد من يحسب مطلع الشمس من وجهها ، ومنبت الدر من فمها ، وملقط الورد من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، وحقاق العاج من ثديها ، ومبادي الليل من شعرها ، ومغرس الغصن في قدها ، ومهيل الرمل في ردفها . وكلا فانها شوهاء ورهاء ، خرقاء خلقاء ، كأنما محياها ايام المصايب ، وليالي النوايب ، وكأنما قربها فقد الحبائب ، وسوء العواقب ، وكأنما وصلها عدم الحياة ، وموت الفجاة ، وكأنما هجرها قوة المنة ، وكأنما فقدها ريح الجنة .

ومن كتاب له في المداعبة : الله الله في اخيك لا تظهر كتابه فيحكم عليه بالماليخوليا وبالتخاييل الفاسدة فقد ذكر جالينوس ان قوماً يبلغ بهم سوء التخييل ان يقدروا اجسامهم زجاجاً فيتجنبوا ملامسة الحيطان خشية ان يتكسروا ، وحكي ان قوماً يظنون انفسهم طيوراً فلا يغتذون الا القرطم . والحظ كتابي دفعة ثم مزقه فلا طائل فيه ، ولا عائد له ، ولا فرج عنده . وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمذان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية وخطبها ابو علي كاتب بكر فلما الح عليها والحف كتبت اليه :

. . . . . .

. . . . . .

هذه والله في هذين البيتين اشعر من كبشة ام عمرو ، والخنساء اخت صخر ، ومن كعوب الهذلية ، وليلى الاخيلية .

وكتب الى ابي العلاء الاسدي : ذكرت ان ادهمك قطع الدهر رباطه ، او قطع الموت نياطه ، ووصفت الحمار الذي استعضته ، فلا ادري اقرطته ام عضضته ، وقد كتبت بابتياع مركوب لك يعبوب ، او يعسوب او مرجوب ، بل رسمت ان يقاد اليك في كيس اعجر ، فان شئت فاتركه عندك اشهب والاّ فابتع به ادهم او اشقر ، والتوقيع درج كتابي فليوصل والنقد عند الحافر ، وبه يملك الخف والحافر ، ويجنب الاغر السائر ، والاقرح النادر .

وله من كتاب في الغضائري : الغضائري وما ادراك ما الغضائري ، استزاد الى الجمال جمالاً ، وعاد بدراً وكان هلالا ، فان شئت فالغصن ميالا ، وان شئت فالدعص منهالا ، كأن جميع الناس يلقون وجهه بناظرك المفتون والحب شامل رويدك ان احببت فالغصن مائل وان تصب بعد الدعص فالدعص هائل

وهو يهدي اليك سلاماً كرقة خده ، ونسيم عرفه وغزارة دمعك من بعده :

سلاماً كما رق النديم على الصبا
وجاء رسول الورد في زمن الورد

تأبى ايها الشيخ الصالح ، الاّ ان تغمسنا معك في مزح المازح :

الا رب ذي مزح يحرك حبله وحبل الثقى من قلبه محصد شزر

(فصل) وما الشأن الاّ في انك تتنقل في الهوى تنقل الافياء ، وتميل في الحب كشارب الصهباء ، فمرة الغضائري حتى اذا حسبناك قد صرت له وصار لك ، وعلق بك واملك املّك ، بعت قديماً بحديث ، وتليداً بطريف ، واستهوتك حبائل القمي فقمت تفتل في حبله ، وتحرص على وصله ، ثم تطمع ان تضم ضدا الى ضد ، وتجمع سيفين في غمد ، وهيهات ان الغضائري قد بلغه ذلك فازورّ وتنمر ، وغار وتنكر ، وقد كان له عزم في المسير الى اصبهان ففتر بفتور صبوتك ، وخف بظهور نبوتك :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

وقد جعله بعض الشعراء للحبيب الاخر واما نحن فننشد لكثير :

اذا ما ارادت خلة ان تزيلنا ابينا وقلنا الحاجبية اول

والله يسقي عهدك صوب العهاد ، ويمدينا واياك على البعاد .

* * *

فقر من كلامه تجري مجرى الأمثال

من استماح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب

من طالت يده بالمواهب ، امتدت اليه السنة المطالا

من كفر النعمة ، استوجب النقمة .

من نبت لحمه على الحرام ، لم يحصده غير الحسام .

من غرته ايام السلامة ، حدثته السن الندامة .

من لم يهزه يسير الاشارة ، لم ينفعه كثير العبارة .

رب لطائف اقوال ، تنوب عن وظائف اموال .

الصدر يطفح بما جمعه ، وكل اناء مؤدٍ ما اودعه .

اللبيب تكفيه اللمحه ، وتغنيه اللحظة عن اللفظة .

الشمس قد تغيب ثم تشرق ، والروض قد يذبل ثم يورق ،

والبدر يأفل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع .

العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر .

اذا تكرر الكلام على السمع ، تقرر في القلب .

الضمائر الصحاح ، ابلغ من الالسنة الفصاح .

الشيء يحسن في ابانه ، كما ان الثمر يستطاب في اوانه .

الآمال ممدودة ، والعواري مردودة .

الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعة .

متن السيف ليّن ، ولكن حده خشن ، ومتن الحية الين ، ونابها اخشن .

عقد المنن في الرقاب ، لا يبلغ الا بركوب الصعاب .

بعض الحلم مذلة ، وبعض الاستقامة مزلة .

كتاب المرء عنوان عقله ، بل عيار قدره ولسان فضله ، بل ميزان علمه .

انجاز الوعد ، من دلائل المجد ، واعتراض المطل ، من امارات البخل ، وتأخير الاسعاف ، من قرائن الاخلاف .

خير البر ما صفا وضفا ، وشره ما تأخر وتكدر .

فراسة الكرم لا تبطي ، وقيافة الشرف لا تخطي .

قد ينبح الكلب القمر ، فليلقم الناجح الحجر .

كم متورط في عثار ، رجاء ان يدرك بثار .

بعض الوعد كنقع الشراب ، و بعضه كلمع السراب .

قد يبلغ الكلام ، حيث تقصر السهام .

ربما كان الاقرار بالقصور ، انطق من لسان الشكور .

ربما كان الامساك عن الاطالة ، اوضح في الابانة والدلالة .

لكل امريء امل ، ولكل وقت عمل .

ان نفع القول الجميل ، والاّ نفع السيف الصقيل .

شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر .

لا يذهبن عليك تفاوت ما بين الشيوخ والاحداث ، والنسور والبغاث .

كفران النعم ، عنوان النقم .

جحد الصنائع ، داعية القوارع .

تلقي الاحسان بالجحود ، تعريض للشرود .

قد يقوى الضعيف ، و يصحو النزيف ، و يستقيم المائد ، و يستيقظ الهاجد .

للصدر نفثة اذا احرج ، وللمرء بثة اذا احوج .

ما كل امرئ يستجيب للمراد ، و يطيع يد الارتياد ·

قد يصلى البريء بالسقيم ، ويؤخذ البر بالاثيم ·

ما كل طالب حق يعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه ·

ان الاحداث لا رياضه لهم بتدبير الحوادث ·

ان السنين تغير السنن ·

من ثقلت عليه النعمة خف وزنه ، ومن استمرت به الغرة طال حزنه

اطع سلطان النهى ، دون شيطان الهوى ·

اعلم الملوك يحتاج الى وزير ، واشجع الناس يحتاج الى سلاح ، واجود الخيل يحتاج الى سوط ، واجود الشفار يحتاج الى مسن ·

مثل الملك الصالح اذا كان وزيره فاسداً كالماء الصافي النمير العذب الذي فيه التماسيح فلا يستطيع الانسان وروده وان كان سابحاً والى الماء ظامئاً حذراً على نفسه ·

اذا ادبر الامر كان العطب في الحيلة ·

احسن ما يكون الحسن بجنب القبيح ·

ثلاثة تدل على عقول اربابها الهدية والكتاب والرسول ·

ما احد رأى في ولده ما يحب الا رأى في نفسه ما يكره ·

الصبر على حقوق الثروة اشد من الصبر على الم الحاجة ·

الرزق مقسوم ، والحريص محروم ، والحسود مغموم ، والبخيل مذموم ·

اذا كان الايجاز كافياً ، كان الاكثار عيا ، واذا كان الايجاز مقصراً ، كان الاكثار ابلغ .

الخراج عمود الملك وما استقبل بمثل العدل ، وما استدبر بمثل الجور ·

اذا لم اعط الا مستحقاً ، فكأني اعطيت غريماً ·

مثل الكاتب مثل الدولاب اذا تعطل تكسر ·

القلم الرديء كالولد العاق ، وكالاخ المشاق ·

التصرف اعلى واسنى ، والتعلل اعفى واصفى .

ذل العزل يضحك من تيه الولاية .

الولاية وكل مدح ، والعزل وكل ذم ·

موت في عز خير من حياة في ذل ·

الحرب سجال ، وعثراتها لا تقال ·

المكيدة ابلغ من النجدة ، والكيد ابلغ من الايد ·

المكر حيلة من لا حيلة له ·

السلاح ثم الكفاح ·

السلاح زينة وعدة ·

السلاح جنة الابدان ووقاية الانفس ·

قد يجبن الشجاع بلا سلاح ، ويشجع الجبان بالسلاح ·

لا تمنع عدوك السبيل في هزيمته ·

احتل للشمس والريح ان تكونا معك لا عليك ·

اذا ابتليت بالبيات فعليك بالثبات ·

محرض خير من الف مقاتل ·

الليل جنة الهارب ·

الفرار في وقته ظفر ·

الحرب اولها كلام ، وآخرها اصطلام ·

ان الجبان حتفه من فوقه ·

عصا الجبان اطول ·

القلم احد اللسانين ·

عقول الرجال تحت اسنة اقلامهم ·

صورة الخط في الابصار سواد وفي البصائر بياض ·

رداءة الخط زمانة الادب ·

القلم صائغ الكلام يفرغ ما يجمعه القلب ، ويصوغ ما يمسكه اللب .

الصاحي بين السكرى ، كالحي بين الموتى ، يضحك من عقلهم ، ويأكل من نقلهم .

احمق ما يكون السكران اذا تعاقل .

من طلب الري من الفرات لم يخش الظمأ في ورده ، ومن قصد الكريم برجائه لم يحاذر الخيبة في قصده .

من لم يتحرز من المكايد قبل هجومها ، لم يعنه الاسف عند وقوعها .

الناس بالذم اعلق ، وروائحه بالحفظ اعبق .

الاعتدال اعدل ، والطريق الوسط امثل .

الرأي اقومه احكمه ، واشده اسده .

رب اجتهاد ، ابلغ من جهاد ، ومكايد دقيقة المسارب ، انكى من حداد صقيلة المضارب ، ولطائف اقوال ، تنوب عن وظائف اموال ، وثبات عقول وعقود ، اوقع من بيات جيوش وجنود .

غش الكافي احمد من نصح الناقص .

الثناء الجميل لسان المساعي ، والبشر الحسن عنوان المعالي .

الاحجام في مواطنه كالاقدام في مواضعه، والترك في ما كنه كالاخذ في مواضعه .

الراحة حيث تعب الكرام اودع ، لكنها اوضع ، والقعود حيث قام الاحرار اسهل ، لكنه اسفل .

اللبيب من الايماء يكفيه ، والايحاء يغنيه، واللفظة تجزيه ، واللمحة تؤثر فيه .

السيد لا يروع القطيع بارضه، والاسد لا يعدو على الفريسة في ظله .

الوقوف في مدارج التهم ذنب عظيم ، والدخول في شبهاب الظن داء عقيم .

الطاعة سعيدة المطلع ، حميدة المرجع ، والعصيان ذميم الفاتحة ، وخيم العاقبة .

الثعالب لا تجسر على اخياس الاسود ، والارانب لا تقدم على اغيال الليوث .

ان الجبال الشم ، والاطواد الصم ، لا تمال بحصبات القاذف، ولا تحال بجمرات الحاذف .

الرجل الحوّل من ثنى ازمة الاعداء عن الشحناء ، الى

المودة والصفـــاء ، لا من احال الصديق ذا الاخاء ، الى حال الهجرة والبغضاء .

الاغفال لا تؤمن عواقبه ، بل تحذر مصايبه .

تجارة الافضال رابحة ، وصفقة الاحسان راجحة .

الشمس تحيي نوراً ، ولكنها تقتل حراً ، والماء يروي ، وقد يغيض فيردي .

خير الوعظ ماقضى بالارتداع ، قبل الايقاع ، وبالانزجار ، قبل الانكار .

اصطناع الاراذل ، وصمة في وجوه الافاضل .

لا بد للسرى على قر ، وللربى من مطر .

هل يثبت التصنع الا بقـدر الاستكشاف ، ويستقر التعمل الاريث الاستشفاف .

لكل امر اجل ، ولكل وقت رجل .

عريسة الاسد ، ليست من اماكن النقد .

ما انتفع بعلم رجل لم يتنفع بظنه ، ولا بفهم امرئ لم يصب بوهمه .

طلوع الشمس في ضمان غروبها ، ومكاره الايام في

اعقاب محبوبها ، وعواري الليالي على شرف ارتجاعها ، وودائع الدهر بعرض انتزاعها.

المكاتبة نظام الصلة ، وقوام المقة ، وملاك المسرة ، وعماد المبرة .

دقيق علم النجوم لا يدرك ، وجليله كثير الكذب .

***

ملح وطرف من الفاظه

اخبرني عن سفرتك ، وعما حصل بها في سفرتك .

وجدت حراً يشبه قلب الصب ، و يذيب دماغ الضب .

انوب فيه نيابة الوكيل المكترى ، بل المملوك المشترى .

قد تحملت مع يسير الفرقة ، عظيم الحرقة ، ومع قليل البعد ، كثير الوجد .

عليّ أن اقول ، وما عليّ القبول .

لا اعترض بين الشمس والقمر ، والروض والمطر .

أكره أن أملّ ، وقد قصدت أن أجلّ . وأعق ، وقد قصدت أن اقضي بالحق .

مرحباً بزائر لباسه حرير ، وانفاسه عبير ، زائر وجهه وسيم ، وريحه نسيم ، وفضله جسيم .

فلان بين سكري الشباب والشراب .

غصن طلعه نضير ، وليس له نظير .

خط أحسن من عطفات الاصداغ ، وبلاغة كالامل آذن بالبلاغ .

فقر كما جيدت الرياض ، وفصول كما تغازلت المقل المراض .

الفاظ كما نوّرت الاشجار ، ومعان كما تنفست الاسحار .

نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد .

كتابك رقية القلب السليم ، وغرة العيش البهيم .

كلام يدخل على الاذن ، بلا اذن .

فلان كريم ملء لباسه ، موفق مدّ أنفاسه ذو جد كعلو الجد ، وهزل كحديقة الورد ، عشرته الطف من نسيم الشمال ، على اديم الماء الزلال ، والصق بالقلب ، من علائق الحب .

شكره شكر الاسير لمن اطلقه ، والمملوك لمن اعتقه .

اثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد .

قلب نغل ، وصدر دغل

وعده برق خلّب ، وروغان ثعلب .

فلان يتعلق باذيال المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير .

وأما شيخنا ابو القاسم الزعفراني ايده الله فصورته لديّ صورة الاخ ، أو وده ارسخ ، ومحله محل العم ، او اشترا كه اعم .

وأما قصيدة ابي طاهر بن ابي الربيع ، فاحسن من الربيع ، وانها وثيقة الجزالة ، انيقة الاصالة ، تنطق عن ادب مهد الاسر ، شديد الازر ، وله عندنا اسلاف بر ارجو ان لا تبقى في ذمتنا حتى نقضيها ، فوعد الكريم ، الزم من دين الغريم .

خط أبي الفرج يبهر الطرف ، ويفوت الوصف ، ويجمع صحة الاقسام ، و يزيد في نخوة الاقلام .

فلان اثقل من القدح الاول .

هما خليطان من ماء الغمامة والخمر .

دارك لي جنة ولكن بوابها مالك الجحيم .

وطيء النجم بقدمه ، وسبق القدر بتقدمه .

نشط مولانا لتناول مايستمد الانس ، و يستجلب البشر ، و يشرح الصدر .

ما يجمع شمل الاخوان ، ويفرق نوازع الاحزان « يكنى بذلك عن اللهو والشراب »

النثر يتطاير تطاير الشرر ، والنظم يبقى كالنقش في الحجر .

ريق العذول سم قاتل .

نبيذ الكاس ، يعرك اذن الوسواس .

رب عذول في ظاهر اهل السمت ، وباطن اهل السبت .

الخمر صابون الهم .

الراح كيمياء الافراح .

دماء الكرم للرجل الكريم .

وقال في عبد الصمد بن بابك : وأما ابن بابك ، وكثرة غشيانه بابك ، فانما تغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام .

خط كالمقل المراض ، والاقبال بعد الاعراض .

الفاظ ، كغمزات الالحاظ ، ومعان ، كانها قلب عان ، استعارت حلاوة العتاب ، بين الاحباب ، واسترقت تشاكي العشاق ، يوم الفراق .

الفاظ لها لين الهواء رقته ، ومن الماء سلاسته ، ومن السحر نفثته ، ومن الشهد حلاوته .

كلام كبرد الشباب ، وبرد الشراب

كلام يهدي الى القلوب روح الوصال ، ويهب على النفوس هبوب الشمال .

الفاظ حسبتها لرقتها منسوخة من صحيفة الصبى ، وظننتها لسلاستها مكتوبة من املاء الهوى .

كلام كما هب نسيم السحر ، على صفحات الزهر ، ولذة طعم الكرى بعد نزح السهر .

كلام يقطر صرفاً ، ويمزج الراح لطفاً . كلام كنسيم الصبا ، وعهد الصبى .

كلام هو سمر ، بلا سهر ، وصفو بلا كدر .

كتاب اوجب من الاعتداد ، واوفر من الاعداد ، واودع بياض الوداد ، سواد الفؤاد .

كتاب انساني سماع الاغاني ، من مطربات الغواني .

كتاب رأيت فيه ساعة الاوبة على المسافر ، وبرد الليل على المسامر .

كتاب شممته شم الولد . والصقته بالقلب والكبد .

كتاب مطلعه مطلع اهلة الاعياد ، وموقعه نيل المراد .

وقال في شعر عضد الدولة : قرأت الابيات التي اسفر عنها طبع المجد والقاها بحر العلم على لسان الفضل ، فعلمت كيف تنكسر الزهر على الحدائق ، وكيف يغرس الدر في أرض المهارق.

تذكرت اياماً فتذكرت سحراً وسيماً ، وعيشاً جسيماً ، وراحاً وريحاناً ونعيماً ، وخيراً عميماً ، وابتهاجاً مقيما ، وايامًا حسنة فكأنها أعراس ، وقصيرة فكأنها انفاس.

توقيعاته

اهدى العميري قاضي قزوين الى الصاحب كتباً وكتب معها:

العميري عبد كافي الكفاة ومن اعتد في وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب مفعمات من حسنها مترعات

فوقع تحتها :

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات
لست استغنم الكثير فطبعي قول خذ ليس مذهبي قول هات

وكتب اليه بعض العلوية يخبر بانه رزق مولوداً ويسأله

ان يسميه ويكنيه فوقع في رقعته : اسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قرة ، والنفس مسرة مستقرة ، والاسم علي ليعلي الله ذكره ، والكنية ابو الحسن ليحسن الله امره ، فاني أرجو له فضل جده ، وسعادة جده ، وقد بعثت لتعويذه ديناداً من مائة مثقال ، قصدت به مقصد الفال ، رجاء ان يعيش مائة عام ، ويخلص خلاص الذهب الابريز من نوب الايام والسلام.

وكتب اليه ابو منصور الجرجاني :

قل للوزير الرتجي كافي الكفاة الملتجى
اني رزقت ولداً كالصبح اذ تبلجا
لازال في ظلك ظل المكرمات والحجى
فسمه وكنه مشرفاً مثوجا

فوقع تحتها :

هنئته هنئته شمس الضحى بدر الدجى
فسمه محسناً وكنه ابا الرجا

وكتب اليه اليه ابو حفص الوراق الاصبهاني : لولا ان الذكرى اطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل تنفع

المؤمنين ، وهزة الصمصام تعين المصلتين ، لما ذكرت ذاكرا ، ولا هززت ماضيا ، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ، ويكد الجواد السمح ، وحال عبد مولانا ادام الله تأبيده في الحنطة مختلفة ، وجرذان داره عنها منصرفة ، فان رأى ان يخلط عبده بمن اخصب رحله ، ولم يشد رحله ، فعل ان شاء الله .

فوقع الصاحب تحتها : احسنت اباحفص قولاً ، وسنحسن فعلاً ، فبشر جزدان دارك بالخصب ، وآمنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك في الاسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، ان شاء الله تعالى .

وكتب بعض اصحاب الصاحب رقعة اليه في حاجة فوقع فيها ولما ودت اليه لم ير فيها توقيعاً وقد تواترت الاخبار بوقوع التوقيع فيها فعرضها على ابى العباس الضبي فما زال يتصفحها حتى عثر بالتوقيع وهو الف واحدة وكان في الرقعة فأن رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل فاثبت الصاحب أمام فعل الفا يعني افعل .

وكتب بعض العمال رقعة الى الصاحب في التماس شغل وفي

الرقعة ان رأي مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله فوقع تحتها : من كتب إشغالي لا يصلح لأشغالي .

ورفع الضرابون من دار الضرب قصة الى الصاحب في ظلامة لهم مترجمة بالضرابين فوقع تحتها : في حديد بارد .

و كتب انسان الى الصاحب رقعة وقد اغار فيها على رسائله وسرق جملة من الفاظه فوقع فيها : «هذه بضاعتنا ردت الينا» .

ووقع في رقعة استحسنها : «افسحر هذا أم انتم لاتبصرون» .

ووقع في كتاب بعض مخالفيه : « و يل لهم مما كسبت ايديهم وو يل لهم مما يكسبون » .

ووقع في رقعة ابي محمد الخازن و كان ذهب مغاضباً ثم كتب اليه يستأذنه في معاودة حضرته : « الم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت » .

و كتب اليه ابو العباس الضبي يشفع بابي محمد الخازن فورد اليه هذا التوقيع : ذكر مولاي ادام الله عزه عود ابي محمد الخازن ايده الله للفناء الذي فيه درج ، والوكر الذي منه خرج ، وقد علم الله ان اشفاقي عليه في اغترابه ، لم يكن باقل منه عند ايابه ، فان احب ان يقيم مدبدة يقضي فيها وطر الغائب ، ويضع

معها اوزار الآيب ، فليكن في ظل من مولانا ظليل ، ورأي منه جميل ، وبر من ديواننا جليل ، وان حفزه الشوق فمرحباً بمن قربته التربية لدينا ، فافسدته النعزة علينا ، وردته التجربة الينا ، وسبيله ان يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعينه على كل ارتحاله ان شاء الله تعالى .

ووقع الصاحب في رقعة لابي الحسن الشقيقي البلخي : من نظر لدينه نظرنا لدنياه فان آثرت العدل والتوحيد ، بسطنا لك الفضل والتمهيد ، وان اقمت على الجبر ، فليس لكسرك من جبر .

ووقع في رقعة بعض خطاب الاعمال : التصرف لا يلتمس بالتكفف ، ان احتجنا اليك صرّفناك ، والا صرفناك .

ورفع اليه بعض منهي الاخبار ان رجلاً ممن ينطوي له على غير الجميل يدخل داره في غمار الناس ثم يتلوّم على استراق السمع فوقع : دارنا هذه خان ، يدخلها من وفى ومن خان

امثلة من شعره

الادب والحكمة

وقائلة لم عرتك الهموم وامرك ممتثل في الامم
فقلت دعيني على غصتي فان الهموم بقدر الهمم

***

لقد صدقوا والراقصات الى منى بان مودات العدا ليس تنفع
ولو انني داريت دهري حية اذا استمكنت يوماً من اللسع تلسع

***

اذا ادناك سلطان فزده من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان الا البحر عظما وقرب البحر محذور العواقب

***

كم نعمة عندك موفورة لله فاشكر يا ابن عباد
قم فالتمس زادك وهو التقى لن تسلك الطرق بلا زاد

***

حق العيادة يوم بعد يومين وجلسة مثل رد الطرف في العين
لا تبرمن مريضاً في مساءلة يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

***

الوصف

قال في الخمر :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر
فكأنه خمر ولا قدح وكأنها قدح ولا خمر

وقال :

وقهوة قد حضرت بختمها فقلت للندمان عند شمها
لاتقبضن بالماء روح جسمها فحسبها ماشربت من كرمها

وقال :

متغايرات قد جمعن وكلها متشاكل اشباحها ارواح
واذا اردت مصرحاً تفسيرها فالراح والمصباح والتفاح

لو يعلم الساقي وقد جمعن لي من أي هذي تملأ الاقداح

وقال :

ولما بدا التفاح احمر مشرقاً دعوت بكأسي وهي ملأى من الشفق
وقلت لساقيها ادرها فانها خدود عذاري قد جعلن على طبق

وقال :

وكأس تقول العين عند جلائها أأمل لخدود الغانيات عصير ؟

تحاميتها الا تعلل واصف وقد يطرب الانسان وهو كبير

وقال :

وصفراء او حمراء فهي مخيلة لرقتها الا على المتوهم
تشككنا في الكرم ان انتماءه الى الخمر ام هاتا الى الكرم تنتمي

ومنها :

تمتع ندمان بها واحبة وحظي منها ان اقول الا انعمي
لك الوصف دون القصف مني نخيمي
بغير يدي وارضي بما قاله فمي

وقال يصف الثلج :

اقبل الثلج فانبسط للسرور ولشرب الكبير بعد الصغير
اقبل الجو في غلائل نور وتهادى بلؤلؤ منثور
فكأن السماء صاهرت الار ض فصار النثار من كافور

وقال :

هات المدامة يا غلام معجلا فالنفس في قيد الهوى مأسوره
او ماترى كانون ينثر ورده وكأنما الدنيا به كافوره

وقال :

هات المدامة يا غلام مصبرا نقلي عليها قبلة اوعضه

او ما توى كانون بنثوردة وكأنما الدنيا سبيكة فضة

وقال في الند :

ند لفخر الدولة استعماله قد زاد عرفاً من نسيم يديه
فكأنما عجنوه من اخلاقه وكأنه طيب الثناء عليه

وقال في حبة عنب :

وحبة من عنب من المنى متخذه
كأنها لؤلؤة في وسطها زمرذه

وقال :

وحبة من عنب قطفتها تحسدها العقود في الترائب
كأنها من بعد تمييزي لها لؤلؤة قد ثقبت من جانب

وقال في التين :

تين يزين رواؤه مخبوره متخير في وصفه يتحير
عسل اللصاب لديه مما يجتوى وجنى النخيل لديه مر ممقر
وكأنما هو في ذرى اغصانه قطع النضار ادارهن مدور
ويقول ذائقه لطيب مذاقه الله اكبر والخليفة جعفر

وقال في الشمع :

ورائق القد مستحب يجمع اوصاف كل صب

صفرة لون وسكب دمع وخوب جسم وحر قلب

وقال في الخط واللفظ :

بالله قل لي اقرطاس تخط به في حلة هو ام البسته حللا

بالله لفظك هذا سال من عسل ام قد صببت على افواهنا العسلا

وقال في فلاة :

وتيهاء لم تطمث بخف وحافر ولم يدر فيها النجم كيف يغور

معالمها ان لا معالم بينها وآياتها ان المسير غرور

ولو قيل للغيث اسقها ما اهتدى لها ولو ظل ملء الارض وهو جزور

تجشمتها والليل وحف جناحه كأني سر والظلام ضمير

وقال في الوحل :

اني ركبت وكف الارض كاتبة على ثيابي سطور أليس تنكتم

فالارض محبرة والحبر من لثق والطرس ثوبي ويمنى الاشهب القلم

وقال في الصدغ :

يا شادنا في صدغه عقرب ما يستجيب الدهر للراقي

يسلم خداه على لدغها ولدغها في كبدي باقي

وقال:

وعهدي بالعقارب حين تشتو تخف لدغها وتقل ضرا

فما بال الشتاء اتى وهذي عقارب صدغه تزداد شرا

وقال في العذار :

رأيت عليا في لباس جماله فشاهدت منه الروض ثاني مزنه
ولما تبدى لي امتداد عذاره رأيت طراز الله في ثوب حسنه

وقال :

ان كنت تنكره فالشمس تعرفه او كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ماجاءه الشعر كي يمحو محاسنه وانما جاءه غمداً يغلفه

وقال :

دب العذار على ميدان وجنته حتى اذا كاد ان يسعى به وقفا
كأنه كاتب عز المداد له اراد يكتب لاما فابتدا الفا

وقال :

عذار كالطراز على الطراز وشمس في الحقيقة لا المجاز
تبدى عارضاه فعارضاني وقالا لا تمر بلا جواز
فقلت القلب عندكم مقيم وما حسن الثياب بلا طراز

وقال :

انظر اليه كأنه شمس وبدر حين اشرف
والحظ محاسن خده تعذر دموعي حين تذرف

فكأنها الواوات حي ن يخطها قلم محرف

وقال :

ابو نصر بن بكران مليح الخد والخط
فهذا النمل في العاج وذاك الدر في السمط

وقال :

ان لبس السواد اقوى دليل لامير يلي امور العباد
وامير الملاح يأتيه عزل حين تلقاه لابساً للسواد

وقال في الخط :

وخط كأن الله قال لحسنه تشبه بمن قد خطك اليوم فأتمر

وهيهات اين الخط من حسن وجهه
واين ظلام الليل من صفحة القمر

واتي الصاحب بغلام مثاقف فلعب بين يديه فاستحسن صورته واعجب بمثاقفته فقال لاصحابه قولوا في وصفه فلم يصنعوا شيئاً فقال :

ومثاقف في غاية الحذق فاق حسان الغرب والشرق
شبهته والسيف في كفه بالبدر اذ يلعب بالبرق

وقال في الشيب :

تقول يوماً جبذا ما بالها قدعرضتني عندشيبي للاذى
تقول سحقاً بعدان كانت وكـ ـت كحل عينيها فصرت كالقذى

***

الغزل

تسحب ماردت على الصباح فهم ليل وانت اخو الصباح
لقد اولاك ربك كل حسن وقد ولاّك مملكة الملاح
وبعد فليس يحضرني شراب فانعم من رضابك لي براح
وليس لديّ نقل فارتهني بنقل من ثناياك الوضاح

وقال :

لا ترجوا اصلاح قلبي بلوم حلف الجفن لا استقل بنوم
وهواه لـئن تأخر عني طول يومي اني سيحضر يومي

وقال :

علي كالغزال و كالغزاله رأيت به هلالا في غلاله
كأن بياض غرته رشاد كأن سواد طرته ضلاله
كأن الله ارسله نبيـا وصير حسنه اقوى دلاله
اذا ما زدت وصلا زدت خبلا كان حيال وصلك لى خباله

وقال :

هـذا علي علي في محاسنه ... كأنما وصفه ان يبلغ الاملا
و كم اقول قدابصرت طلعته ... هذا الذي في طراز الله قد عملا

وقال :

قل لابي القاسم ان جئته ... هنيت مـا اعطيت هنيته
كل جمـال فـائق رائق ... انت برغم البدر اوتيته

وقال :

قل لابي القاسم الحسيني ... يا نار قلبي ونور عيني
البـدر زين السماء حسناً ... وانت زين لـكل زين

وقال :

ومهفهف يغني عن القمر ... قمر الفؤاد بفاتن النظر
خالسته نفـاح وجنته ... من غير ابقاء ولا حذر
فاخافني قوم فقلت لهم ... «لاقطع في ثمر ولا كثر»

وقال :

الحب سكر خماره التلف ... يحسن فيه الذبول والدنف
عابوه اذ لج في تصلفـه ... والحسن ثوب طرازه الصلف

وقال :

وشادن يكثر من قول لا اوقع قلبي فى ضروب البلا
قلت وقد تيمني طرفه هذا هو السحر والا فلا

وقال :

وشادن ذي غنج طاوي الحشا معتدل
انشدته شعراً بديـ ـعاً حسناً من عملي
فقال فيمن ولمن فقلت هذا فيك لي
فطار في وجنته شعاع نار الخجل

وقال :

قد قلت لما مرّ يخطر ماشيا والناس بين معوذ أو عاشق
لم يكف ما صنعت شقائق خده حتى تلبس حلة بشقائق

وقال :

دعتني عيناك نحو الصبـا دعاء يكرر في كل ساعه
ولولا تقادم عهد الصبا لقلت لعينيك سمعاً وطاعه

وقال :

شتمت من تيمني مغالطاً لاصرف العاذل عن لجاجته
فقال لما وقع البزاز في الثـ ـوب علمنا انه من حاجته

وقال :

يا قمرا عارضني على وجل وصاله يشبه تأخير الاجل
وقال تبغي قبلة على عجل قلت أجل ثم أجل ثم أجل

وقال :

وشادن في الحسن كالطاوس اخلاقه كليلة العروس
قد نال بالحظ من النفوس مالم تنله الروم من طرسوس

وقال :

بدا لنا كالبدر في شروقه يشكو غزال لج في عقوقه
يا عجبا والدهر في طروقه من عاشق أحسن من معشوقه

وقال :

عزمت على الفصد ياسيدي لفضل دم كأني مؤلم
فلما تأخرت عن مجلسي ارقت لغير افتصاد دمي

وقال :

ومهفهف شكل المجون اضنى فؤادي بالفنون
فنسيمه ملء الانو ف وحسنه ملء العيون

وقال :

فمن كان يقطف ورد الجنا ن فقطفي مذ كنت ورد الخدود
وهمي مذ كنت در الثغو ر اذا أهتم غيري بدر العقود

وقال :

كنا واسباب الهوى متفقه نبتاً من الورد معا في ورقه
فالآن اذ اسبابه مفترقه قدصارت الارض علينا حلقه

وقال :

يا خاطرا يخطر في تيهه ذكرك موقوف على خاطري
ان لم تكن آثر من ناظري عندى فلا متعت بالناظر

وقال :

تأخرت عني والغرام غريم ومامل قرب الاكرمين كريم
واوهمتني سقماً وانت مصحح بلى لك عهد كيف شئت سقيم
ولوشئت لم تخلط وصالاً بهجرة كما شيب بالماء الزلال حميم
ففي الدهر كاف ان يفرق انه وصي ظلوم والكريم يتيم

وقال

ومهفهف حسن الشمائل اهيف تردى النفوس بفترتي عينيه
ما زال يبعدني ويؤثر هجرتي فجذبت قلبي من اسار يديه
قالوا تراجعه فقلت بديهة قولا اقيم مع الروي عليه
والله لا راجعته ولو انه كالشمس او كالبدر او كبويه

وقال :

ولم اخلع عذاري فيك الا لما عاينت من حسن العذار
وكم ابصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري

وقال ويروي لغيره :

رشأ غدا وجدي عليه كردفه وغدا اصطباري في هواه كخصره
وكأن يوم وصاله من وجهه وكأن ليلة هجره من شعره
ان ذقت خمراً خلتها من ريقه أو رمت مسكاً نلته من نشره
واذا تكبر واستطال بحسنه فعذار عارضه يقوم بعذره

وقال في صبّاح الحاجب :

خداه ورد وصدغه سبج ومقلتاه الغناء والراح
ان هز اطرافه على نغم شقت جيوب وطاح ارواح
وجملة القول في محاسنه ان امير الصباح صبّاح

وقال :

وشادن قلت له ما اسمكا فقال لي بالغنج عباث
فصرت من لثغته الثغا فقلت أين الكاث والطاث

وقال :

لقد قلت لما اتوا بالطبيب وصاد في احر اللهيب
وداوى فلم انتفع بالدوا ٭ دعوني فان طبيبي حبيبي

ولست أريد طبيب الجسو م ولكن اريد طبيب القلوب
وليس يزيل سقامي سوى حضور الحبيب وبعد الرقيب

***

ملح من اخوانياته

كتب الى ابي الفضل بن شعيب :

يا ابا الفضل لم تأخرت عنا فاسأنا بحسن عهدك ظنا
كم تمنت نفسي صديقاً صدوقاً فاذا انت ذلك المتمنى
فبغصن الشباب لما تثنى وبعهد الصبا وان بان منا
كن جوابي اذا قرأت كتابي لا تقل للرسول كان وكنا

وكتب الى ابي بكر الخوارزمي :

اسعدك الله بيوم النصح وعشت ما شئت بيوم سمح
يا رأس مالي في الورى وربحي وظفري ونصرتي ونجحي
شربا ولا تصغ لاهل النصح فالحزم ان تسكر قبل نصحي
سكر النصارى في غداة الفصح

وكتب الى ابي القاسم القاشاني :

يا ابا القاسم قل لي قل لماذا لا تزور
كنت قد قدمت وعداً فاذا وعدك زور

وبذرت الود بالـقو ل فلم تزك البزور
ونحرت الود بالهجـ ـر كما يهدى الجزور
ان ام الصدق في الود لمقـلاة نزور

وكتب اليه أيضاً :

مولاي لم لم تدع عبـ ـدك عندك احضار المدام
اعرفتـه من بينهم متبسطـاً وقت الطعـام
ام قيل عربد ذات يو م حين صار الى الطعام
ام لم يساعد حـين ملـ ـت الى الغلامة والغلام
ان كنت تبخل بالطعا م فكيف تبخل بالكلام
لسنـا نحـاول دعوة فاسمح علينـا بالسلام

وقال :

لو فتشوا قلبي رأوا وسطه سطرين قد خطا بلا كاتب
حب عليّ بن ابي طـالب وحب مولاي ابي طالب

وقال :

يا ابن يعقوب يا نقيب البدور كن شفيعي الى فتى مسرور
قل له ان للجمال زكاة فتصدق بهـا على المهجور

وكتب الى ابي العلاء الاسدي يكني عن الجرب :

ابا العلا يا هلال الهزل والجد كيف النجوم التي يطلعن في الجلد
وباطن الجسم غر مثل ظاهره وانت تعلم مما قلته قصدي

وقال في انفاذ الحلواء :

حلاوة حبك يا سيدي تسوغ بعثي اليك الحلاوه

وقال :

قولوا لاخواننا جميعاً من كلهم سيد مرزا
من لم يعدنا اذا مرضنا ان مات لم نشهد المعزى

وقال لمحمود التاجر :

طويت محموداً على جفوته مخلصاً نفسي من خلته
قدرته يقلق من علتي مثل انزعاجي كان من علته
لم يأت بابي لا ولا مربي كأن سقمي كان من شهوته
من لم يطالعني على علتي ان مات لم امض الى تربته

وقال للقاضي ابي بشر الجرجاني :

يصد الفضل عنا أي صد وقال تأخري عن ضعف معده
فقلت له جعلت العين واواً فان الضعف اجمع في الموده

وقال :

بعدت فطعم العيش عندي علقم ووجه حياتي مذ تغيبت ارقم

فمالك قد ادغمت قربك في النوى وودك في غير النداء مرخم

وكتب ابو هاشم العلوي الطبري الى الصاحب :

دعوت اله الناس شهراً محرماً ليدفع سقم الصاحب المتفضل
الى بدني او مهجتي فاستجاب لي فها انا مولانا من السقم ممتلي
فشكراً لربي حين حول سقمه اليّ وعافاه ببرء معجل
وأسأل ربي ان يديم علاءه فليس سواه مفزع لبني علي

فاجابه الصاحب :

ابا هاشم لم ارض هاتيك دعوة وان صدرت عن مخلص متطول
فلا عيش لي حتى تدوم مسلما وصرف الليالي عن ذراك بمعزل
فان نزلت يوماً بجسمك علة وحاشاك فيها يا علاء بني علي
فنادبها في الحال غير مؤخر الى جسم اسمعيل دوني تحوّلي

وقال مجيباً على قصيدة :

عناني من الهم ما قد عناني فاعطيت صرف الليالي عناني
الفت الدموع وعفت الهجوع فعيناي عينان نضاختان

ومنها :

اتتني بالامس أبياته تعلل روحي بروح الجنان
كبرد الشباب و برد الشراب واظل الامان ونيل الاماني

وعهد الصبى ونسيم الصبا وصفو الدنان ورجع القيان
فلو ان الفاظه جسمت لكانت عقود نحور الغواني
فياليت عمري في عمره يزاد ولو انه حقبتان
اجبت عن الشعر مسترسلا بطبع شجاع وقلب جبان
ولولا سكوني الى فضله قبضت بناني بقبضي لساني

***

المديح

قال من قصيدة في عضد الدولة :

سعود يحار المشتري في طريقها ولا تتأتى في حساب المنجم
وكم عالم احييت من بعد عالم على حين صاروا كالهشيم المحطم
فوالله لولا الله قال لك الورى مقال النصارى في المسيح ابن مريم
محامد لو فضت ففاضت على الورى لما ابصرت عيناك وجه مذمم
وكلا ولكن لو حظوا بزكاتها لما سمعت اذناك ذكر ملوم
ولو قلت ان الله لم يخلق الورى لغيرك لم احرج ولم اتأثم

وقال من أخرى :

همام رأى الدنيا سواما فخاطها ليالي في غبر الزمان وقور ؟
ولم يخطب الدنيا احتفالا بقدرها فموقعها من راحتيه يسير

ولكن له طبع الى الخير سابق ورأي بانماء الرجال بصير
وان لم يلاحظهم بعين حمية فتلك امور لا تزال تمور

ومن اخرى :

يا ايها الملك الذي كل الورى قسمان بين رجائه وحذاره
فمناصح قد فاز سهم طلابه ومداهن قد جال قدح بواره
هذي بخاري تشتكي الم الصدى وتقول قولا نبت في اخباره
ماذا عليه لو يهم بعرصتي فاكون بعض بلاده ودياره

وكتب الى مؤيد الدولة ابي منصور :

سعادة ما نالها قط احد يحوزها المولى الهمام المعتمد
مؤيد الدولة وابن ركنها وابن اخي معزها اخو العضد

وقال في فخر الدولة وقد افتصد :

يا ايها الشمس الا ان طلعتها فوق السماء وهذا حين يقتصد
لما افتصدت قضينا للعلا عجبا وماحسبت ذراع الشمس يفتصد

وقال فيه لما بنى قصره بجرجان :

يابانيا للقصر بل للعلا همك والفرقد سيان
لم تبن هذا القصر بل صغته تاجا على مفرق جرجان
وقصرك المبني من قبله ملكك والله هو الباني

فاقبل نثار العبد بل نظمه فانه والدر مثلان
واسمع مقالا لم يقل مثله مذ كانت الدنيا لانسان
لو كان للخلق آلهان لكان فخر الدولة الثاني

وقال :

هذي المكارم والعلياء تفتخر بيوم مأثرة ساعاته غرر
يوم تبسم عنه الدهر واجتمعت له السعود واغضت دونه الغير
حتى كأنا نرى في كل ملتفت روضا تفتح في اثنائه الزهر
لما تجلى عن الآمال مشرقة قال العلى بك استعلي واقتدر
وافى على غير ميعاد يبشرنا بان ستتبعه امثاله الاخر
اهنا المسرات ماجاءت مفاجأة وما تناجت بها الالفاظ والفكر
لو ان بشرى تلقتها بموردها لأقبلت نحوها الارواح تبتدر
وما تعنف من يسخو بمهجته فان يومك هذا وحده عمر
فما غدوت وما للعين منقلب الا الى منظر يبهى ويحتبر
ثنت مهابتك الابصار حاسرة حتى تبين في الحاظها خزر
اذا تأملتهم غضوا وان نظروا خلال ذاك فادنى لفتة نظروا
في ملبس مارأته عين معترض فشك في أنه اخلاقك الزهر
البسته منك نوراً يستضاء به كما أضاء ضواحي متنه القمر

وقد تقلدت عضباً أنت مضر به وعنك يأخذ ما يأتي وما يذر
مازال يزداد من اشراق غرته زهراً ويشرق فيه التيه والاشر
والشمس تحسد طرفاً انت راكبه حتى تكاد من الأفلاك تنحدر
حتى لقد خلت ان الشمس ازعجها شوق فظلت على عطفيه تنتثر

وقال في بني المنجم :

لبني المنجم فطنة لهبيه ومحاسن عربية عجميه
مازلت أمدحهم وانشر فضلهم حتى اتهمت بشدة العصبيه

وقال في ابي هاشم العلوي الطبري :

ان ابا هاشم يد الشرف مادحه آمن من السرف
حل من المجد في اواسطه وخلف العالمين في طرف[1]

* * *

الهجاء

قال في ابن متويه :

يا فتى متويه رفقاً لست من ينكر اصله
انما ينكر منه من جنون فيه ثقله

---

(١) انظر ص ٧ و٨ و٩ و ١٠ من هذا الكتاب فهناك مدائح قالها الصاحب في ابن العميد كما ان تفاريق من شعره ونثره وردت في اثناء الكتاب لاقتضاء المحل فلم ار حاجة لاعادة نقلها في الفصلين المعقودين لنثره وشعره.

انت نذل من كرام انت في الطاوس رجله

وقال :

ابوك ابو علي ذوعلاء اذا عد الكرام وانت نجله
وان اباك اذ تعزى اليه لكالطاوس يقبح منه رجله

وقال :

احمد هذا سبط متويه في موته بعد غد تهنيه
والشأن في اني على بغضه احتاج أن أقعد للتعزيه

وقال :

سبط متوي ان دارك دار قد عرفت الادبار اذ تبنيها
لا تكثر تزويقها وترفق عن قليل يكون قبرك فيها

وقال فيه :

كلما زدت عتاباً زدت في هجوك بيتا
أو ترى طبعي غيضاً او ارى جسمك ميتا

وقال في الغويري :

ان الغويري له نكهة نتنتها اربت على الكنف
ياليته كان بلا نكهة أوليتني كنت بلا انف

وقال فيه أيضاً :

فم الغويري اذا فتشته أنتن فم
كم قلت اذ كلمني وآسفي على الخشم

وقال :

ان قاضينا لاعمى ام على عمد تعامى
سرق العبد كأن ا عبد من مال اليتامى

وقال :

ياقاضيا بات اعمى عن الهلال السعيد
افطرت في رمضان وصمت في يوم عيد

وقال :

رأيت لبعض الناس فضلا اذا انتمى يقصر عنه فضل عيسى بن مريم
عزوه الى تسع وتسعين والدا؟ وليس لعيسى والد حين ينتمي

وقال :

مطفل اطفل من اشعب مازال محروماً ومذموما
لو انه جاء الى مالك لقال اطعمني زقوما

وقال :

انظر الى وجه ابي زيد او حش من حبس ومن قيد
وحوشه ترتع في ثوبه وظفره يركب للصيد

وقال في رجل كثير الشرب بطيء السكر :

يقال لماذا ليس يسكر بعد ما توالت عليه من نداماه قرقف
فقلت سبيل الخمر ان تنقص الحجى فان لم تجد عقلا فماذا تحيف ؟

وقال :

نبئت انك منشد ما قلته في سب عرضك لا تخاف وعيدي
والكلب لا يخزى اذا اخسأته والقار لا يخشى من التسويد

وقال :

تزلزلت الارض زلزالها فقالوا باجمعهم مالها ؟
مشى ذا الثقيل على ظهرها فاخرجت الارض اثقالها

وقال :

وناصح اسرف في النكير يقول لي سدت بلا نظير
فكيف صغت الهجو في حقير مقداره اقل من نقير
فقلت لا تنكر وكن عذيري كم صارم جرّب في خنزير

وقال :

ايا اقبح في المنظ ر من دب على غول
ويا اسمج من طلعـ ة شيطان على فيل

وقال فيمن زوج أمه :

زوجت امك يا فتى وكسوتني ثوب القلق
والحر لا يهدي اللحو م الى الرجال على طبق

***

متفرقات

قال في مرض علوي :

يا سيداً افديه عند شكاته بالنفس والولد الاعز وبالاب
لم لا ابيت على الفراش مسهداً وقد اشتكى عضو من اعضاء النبي

وقال في الشيب :

تصد اميمة لما رأت مشيباً على عارضي قد فرش
فقلت لها الشيب نقش الشبا ب فقالت الا ليته ما نقش

وقال :

ولما تناءت بالاحبة دراهم وصرنا جميعاً من عيان الى وهم
تمكن مني الشوق غير مسامح كمعتز لي قد تمكن من خصم

وقال :

كنت دهراً اقول بالاستطاعه وارى الجبر ضلة وشناعه
ففقدت استطاعتي في هوى ظبي فسمعاً للمجبرين وطاعه

وقال في شهر رمضان :

قد تعدوا على الصيام وقالوا حرم الصب فيه حسن العوائد
كذبوا في الصيام للمرء مهما كان مستيقظاً اتم الفوائد
موقف بالنهار غير مريب واجتماع بالليل عند المساجد

وقال :

راسلت من اهواه اطلب زورة فاجابني اولست في رمضان؟
فاجبته والقلب يخفق صبوة اتصوم عن بر وعن احسان
صم ان اردت تحرجاً وتعففاً عن ان تكد الصب بالهجران
اولا فزرني والظلام مجلل واحسبه يوماً مرّ في شعبان

وقال يرثي ابا الحسن السلمي :

اذا مانعى الناعون اهل مودتي بكيت عليهم بل بكيت على نفسي
نعوا مهجة السلمي وهي سلامة غلبت عليها فالسلام على الانس

وقال يرثي ابا منصور كثير بن احمد :

يقولون لي اودى كثير بن احمد وذلك رزء في الانام جليل
فقلت دعوني والعلا نبكه معاً فمثل كثير في الرجال قليل

وقال :

يا اهل سارية السلام عليكم قد قلّ في ارضيكم الخطباء
حتى غدا الفأفاء يخطب فيكم ومن العجائب خاطب فأفاء

وقال في اخوين صبيح وقبيح :

يحيى حكى المحيا ولكن له اخ حكى وجه ابي يحيى[1]

وجمع اسماء قداح الميسر في قوله :

ان القداح امرها عجيب الفذ والتوأم والرقيب
والحلس ثم النافس المصيب والمصفح المشتهر النجيب
ثم المعلّى حظه الترغيب هاك فقد جاء بها الترتيب

وقال :

دارك لي جنة ولكن بوابها مالك الجحيم

وقال :

ومغن يتغنى بطعام وشراب
فاذا رمنا سكوتا فبمال وثياب

قال القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني انصرفت يوماً من دار الصاحب وذلك قبل العيد فجاءني رسوله بعطر الفطر ورقعة مكتوب فيها :

يا ايها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
اهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما اهدي له اخلاقه

---

(١) يكنى عن الموت بابي يحيى .

وكتب الصاحب الى ابي هاشم العلوي وقد أهدى اليه يوم اضحى عطراً في طبق فضة :

اقبل من الطيب الذي اهديته ما يسرق العطار من اخلاقك
والظرف يوجب اخذه مع ظرفه فأضف به طبقاً الى اطباقك

ورد ابو حفص الشهرزوري على الصاحب وكان في بصره سوء وقدمه اليه بعض كتابه فقال له الصاحب مداعباً :

وكاتب جاءنا باعمى لم يحو علما ولا نفاذا
فقلت للحاضرين كفوا فقلب هذا كعين هذا

وقال يتشوق الى اصبهان :

ياصبهان سقيت الغيث عن كثب فانت مجمع ارطاري واوطاني
والله والله ما انسيت برك بي ولو تمكنت من اقصى خراسان
يا حبذا ارضها والشمل مجتمع والدهر ماخانني في حزب اخواني
ذكرت ديرت اذ طاب الغناء بها يا بعد ديرت من ابواب جرجان

الفهرس

الصاحب ابن عباد

	صفحة		صفحة
نسبه	٣	جلالة قدره	٦٢
مولده وموطنه	٥	رضاه عن نفسه	٦٧
نشأته	٥	حبه للعرب وبغضه للشعوبية	٧٠
عند ابن العميد	٧	ماأخذ عليه في اخلاقه وسيرته	٧٣
عند مؤيد الدولة	١٣	اخباره	٨٦
عند فخر الدولة	٣٤	علمه وادبه	١٠٣
وفاته	٤١	كتبه	١١٤
صفته واخلاقه	٤٩	اسلوبه وخصائصه	١٢٩
مذهبه	٥١	شعره	١٥٨
كرمه	٥٦	نصوص من كلامه	١٦١
مكارم اخلاقه	٦٠	امثلة من شعره	٢٢٥

جدول الخطأ والصواب

خطأ	صواب	سطر	صفحة
على ابي الفتح ثم	على ابي الفتح في السابع من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٦ ثم	١٢	٢٣
عضد لدولة	عضد الدولة	٦	٢٥
سني	سرنى	١٢	٢٧
ان	ادن	١	٣٢
بلمك	بلغك	١٤	٣٤
وقال	قال	٩	٤١
ذريه	دزبه	١٢	٤٨
ابن بي خالد	ابن ابي خالد	٢	٧٧
ومساكي	وامساكي	١٥	٨٠
بخزوى	بجزوى	١٧	٨٧
متح	فتح	١٣	١٢٩
لا الاقرار	الا الاقرار	٨	١٥٧
قي	في	٦	١٦٤

خطأ	صواب	سطر	صفحة
لدهر	الدهر	١١	١٦٨
قول	اقول	١٢	١٧٠
الطربقي	الطريق	١٦	١٦٥
يحملها	يحملها	١	١٩٩
تشوقت	تشوفت	١٦	٢٠٠
قلبه	وقلبه	٣	٢٠٢
فم	فما	١٤	٢٠٢
واملة املك	املة واملاك	١٠	٢٠٥
المطاا	المطالب	٧	٢٠٦
تعريض للشرود	تعريض النعم للشرود	١٤	٢٠٨
الايجاز	الايجاز	٤	٢١٠
على قمر	من قمر	١٠	٢١٤
ديناداً	ديناراً	٥	٢٢١
الرتجى	المرتجى	٩	٢٢١
ودت	وردت	١٢	٢٢٢
العزة	الغرة	٣	٢٢٤

خطأ	صواب	سطر	صفحة
مصبرا	مصيرا	١٧	٢٢٧
جناخه	جناحه	٩	٢٢٩
متل	مثل	١٠	٢٤٠